المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والاربعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٤ — الموافق ١١ ذي القعدة سنة ١٣٣٢

الوراثة

من خطبة الاستاذ باتسون رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

(استهل خطبته بمقدمة وجيزة شكر فيها الذين سهلوا انعقاد المجمع في استراليا واشار الى موت السر دافيد جل الفلكي المشهور واحد الذين رأسوا المجمع سابقاً ثم قال :—)

قد اخترت الوراثة موضوعاً لكلامي وساجرب ان آتي على خلاصة الاكتشافات التي ادّى اليها البحث على طريقة مندل والطريقة التحليلية ثم اترك لكم التفكير في استنتاج ما يمكن استنتاجهُ من هذه الحقائق الفسيولوجية اذا طُبِّق عليها مذهب النشوء عموماً وتاريخ الانسان الطبيعي خصوصاً

لم يُنتبه لاهمية الوراثة الاَّ منذ زمن قريب ولم يكن لكلمة «الوراثة» معنى تام قبل هربرت سبنسر

يتكوَّن الحيوان والنبات من جزء حي يتقدُّ من حيوان او نبات مثلهِ وتكون قواهما وصفاتهما موجودة بالقوة في اصلها الفسيولوجي . وكل منهما نتيجة عمل توليدي لم يعتنَ بالبحث فيهِ بحثاً علمياً منظماً الاَّ من عهد حديث . وقد كان ما في الطبيعيين من الميل الى الاطلاع على حقائق الامور يستلفت انظارهم الى هذه المسألة دائماً ولكنهم لم يحققوا ان معرفة القوانين التي يسير عليها تكوّن الاجنة ضرورية جداً لمعرفة طبائع الاحياء الاَّ حديثاً . اما عامة الناس فقلَّ منهم من يعرف شيئاً عن ذلك

يتباحث علماء التاريخ في ماضي نوع الانسان وينظر رجال السياسة حاضرهُ ويدّعون تسيير مستقبلهِ كأن الحيوان المعروف بالانسان على ما بين افراده من كثرة الاختلاف في القوى هو مادة متماثلة في جميع اجزائها يمكن سبكها كما يسبك الرصاص من غير ان يطرأ عليها تغير ما

وسبب هذا الاهمال هو التفاوت بين افراد الانسان من التباين والخطأ في فهم سنة الوراثة ولا يظهر ما للوراثة من الاهمية في كل مذهب من المذاهب التي يقول بها العلماء في النشوء الا متى علم اختلاف الناس في الصفات التي تولد معهم وما لهذا الاختلاف من الاهمية

اننا مدينون لداروين بمعرفة اهمية التباين لانهُ اول من ادركها حق الادراك . والقائلون بالنشوء اليوم يعرفون اكثر من علماء القرن الماضي انهُ قام كثيرون من الذين فكروا في النشوء وقالوا به قبل ان ظهر كتاب اصل الانواع . وقد عرفنا ايضاً ان الانتخاب الطبيعي لا يمكن ان يكون العامل الاكبر الذي ميّز انواع الحيوان والنبات حتى اصبحت على ما هي عليهِ اليوم فزدنا شكاً في ان تغير احوال المعيشة بعقبهُ تكيف الحي مباشرة وكان داروين يعير ذلك اهمية كبيرة . ولكن لا يستطيع احد ان ينكر ان داروين كان اول من جمع حقائق كثيرة تبيّن ان الاحياء قابلة للتغير

وقد جمعت بعض الحقائق الدالة على ذلك قبل داروين واخص من عُني بجمعها طائفة من العلماء الفرنسويين على الخصوص عودرون . ومما يجب ان يذكر في هذا المقام بحث ولاستون الذي يكاد يكون منسياً . ولكن كتابات هؤلاء ليست الا نفثاً في جنب ما عملهُ داروين . وقد اعتقد داروين ان قابلية التغير طبيعية في الاحياء وعلينا ان نتحقق هل لهذا الاعتقاد اساس راهن ام لا ولكننا نرجئ النظر في ذلك الآن ونقول ان معرفة شيوع التباين في الطبيعة على وجه عام بدأت بداروين

اذا كان جماعة من الناس غير متماثلين بل يختلف بعضهم عن بعض كثيراً فكيف تتوزع صفاتهم في نسلهم . هذه هي المسألة التي يسعى الباحثون في الوراثة الى حلها . وكان يظن ان طرق الوراثة يمكن معرفتها بمراقبة نمو الحي وهو جنين الى ان يتم خلقهُ اي مراقبة تكون الحي من حي آخر . وقد اوصل البحث في هذا السبيل الى معرفة حقائق لا يستهان بها فرأى العلماء كل ما يمكن رؤيتهُ بالوسائل التي لدينا الآن ولكننا لم نخطُ نحو حل المسألة الاصلية (اي كيفية توزع الصفات) الا قليلاً او لم نخطُ على الاطلاق . ولا نرى شيئاً نقدر ان نجعلهُ اكثر مما حللناه حتى الآن اي لا نرى شيئاً نقدر ان نفسرهُ بما يقرب من الفهم اكثر من الاعمال الفسيولوجية نفسها . فالامبريولوجيا (علم الاجنة) لم تساعدنا في ذلك مباشرة والسيتولوجيا (علم الخلايا) قد نشت ايضاً على ما ارى . فقد تختلف هنات الكروموسوم (Chromosomes) كل الاختلاف في عددها وحجمها وشكلها بين مخلوقين يقربان الواحد من الآخر كثيراً . وليس سوى شاهد واحد يقوي الرجاء القديم بان توجد علاقة بين صفات

الجسم الظاهرة وبين صفات هنات الكروموسوم واعني به الهنة الزائدة التي تمتاز بها الجمع (١) الذكرية (spermatozoa) التي ينشأ منها اناث لدى التلقيح في كثير من الحيوانات . وهذه ايضاً لا يمكن القول بانها سبب الانوثة والذكورة اذ قد تكون مزدوجة في اشكال تقرب كثيراً من اشكال اخرى تكون فيها غير مزدوجة او زائدة . ثم انها قد توجد وقد لا توجد مثل غيرها من الصفات الجنسية العرضية . وما دمنا لا نقدر ان نفرق الصفات البيولوجية في النسيج الواحد من الجسم عن الصفات التي تقابلها في نسيج آخر فالامل بان نرى فرقاً بين جمع الانواع المختلفة ضعيف

وقد غيرنا هذه الخطط التي كنا نسير عليها في البحث وجئنا الى خطة اخرى يظهر لاول وهلة انها لا تمكننا من التشوف الى الاكتشافات الكبيرة وذلك لان مجالها اضيق على الراجح اما مساسها بالموضوع فليس اقل من مساس تلك اذا كنا لا نقدر ان نرى كيف يولد الدجاج من بيضه والثوبياء من بزرها فني امكاننا على الاقل ان نرى كيف تتوزع صفات الانواع المختلفة من الدجاج والثوبياء في نسلهما . واذا قسمنا المسألة الى اجزائها على هذه الطريقة هان علينا كشف الحقائق . وقد سمي هذا النوع من البحث بالبحث المندلي نسبة الى مندل لانهُ كان اول من اشتغل به . ولكن مندل لم يطرق المسألة لاغراض مثل التي ذكرتها فقد كان غرضهُ ان يحقق المميزات التي تميز الاجناس بعضها عن بعض في حالة تكونها ولم يذكر الوراثة في كتاباته ولكن يتضح من كلامهِ انهُ كان ينوي مدّ الجانب اليها . وقد لقح نباتات النوع الواحد بعضها من بعض فجمع صفاتها في نتاجها ثم اخذ يبحث في ظهور هذه الصفات في انسال هذا النتاج . ولم يجرب احد قبل مندل ان يحل هذه المسائل ولا خامر ذهن احد ان للتسلسل قانوناً يسير عليهِ . والصفات التي تميز افراد البشر بعضهم عن بعض كثيرة لا تجري على قاعدة حسب الظاهر وقد تمسك الاقدمون بذلك واتخذوهُ شاهداً على الوراثة عموماً

وقد كان للتعبير عن الاصل بكلمة « الدم » شأن كبير في تضليل الافكار من هذا القبيل (وهذا التعبير كثير الاستعمال في اللغات الافرنجية) فنقول هذا دمهُ خالص (يريدون انهُ اصيل) وهذا نصف دم . والدم سائل يمكن تغييره كلهِ وكيفهِ بمزجهِ بسوائل اخرى كما يمزج الشراب بالماء . ولما كان الدم في عرف الفسيولوجيا القديمة مقر الحياة وقوامها فمن الطبيعي ان يتدرج الناس من الاعتقاد بامتزاج الدماء واجتماع الصفات بواسطة امتزاجها الى الاعتقاد

(١) الجمع جمع جمعة ترجمنا بها كلمة spermatozoa الافرنجية التي معناها نطفة الذكر ونطفة الانثى اللتان تتلاقحان . انظر ما كتبناهُ عن الوراثة في الجزء ٣٣ صفحة ٦٦٦ من المقتطف

بل اجزاء المزيج اذا امتزجت لا يمكن فصلها بعضها عن بعض وانما يمكن مزجها بمقادير التي يريدها الممازج . اي ان مسألة الوراثة مسألة قياس لكميات تمزج بعضها ببعض . وتعبير العبرانيين عن الاصل بانتشار ثلاثمئة صور عقلية اقرب الى الحقيقة من الصور التي تلابس تعبيرنا . فاذا قلنا ان فلاناً من الدم الملكي خطر على بالنا حالاً دم السرقة الذي يمازجها واخذنا نفكر في مقدار الدم الملكي في عروقه . ولكن اذا قلنا فلان من بذار ابرهيم شعرنا نوعاً من الشعور بابدية تلك الجراثيم التي يمكن قسمتها وتوزيعها على جميع الشعوب وبقاء آثارها ظاهرة في ملامح البشر واخلاقهم بعد مرور اربعة آلاف سنة

اعرف رجلاً من مربي الحيوانات كان يقتني صندوقاً فيه زجاجات مملوءة سوائل ملونة يشير بها الى ما عنده من اصناف الكلاب فيمزج هذه السوائل بعضها ببعض على نسب مختلفة للدلالة على ما يجري في كل كلب من كلابه من دم غيره من الكلاب التي يتعلق بها نسبه . وقد غلط غالتون مثل هذا الغلط حين وضع نظامه للوراثة ولكن الابحاث الحديثة قد جلت كل ذلك . فالصفات التي يرثها النسل من سلفه لا تتوقف على صبغة تنتقل من هذا الى ذاك بل على التئام الخلايا في الحي في اول اطوار حياته حينما تنبذ بعض الاصول التي تقابل بعض الصفات وتبقى غيرها . اما ما هي هذه الاصول فلا ندري . ولا شك في انها تأتي من مادة الجسم الانثوية والذكرية ولكن يبعد ان تكون اجساماً مادية كما تصور المادة . ولعل صفاتها تتوقف على الاوضاع التي تتخذها . ومهما كان من امرها فالتأصيل التحليلي يبين ان صفات النسل تتوقف على توزيعها . وعلى العلماء الذين يبحثون في تكوين الاحياء ان يحققوا عددها وتأثير بعضها في بعض وبعد ذلك يقدمون على تحليل انواع الاحياء . فشجرات النسب كالحجج التي تعطى للحيوانات الاهلية لاثبات اصلها وانتماء الافراد الى اسلافهم لا تفيد شيئاً . وهذه الوسائل كلها لا تبين ما يراد تبيينه منها اي كون « الدم » خالصاً لانا نعرف الآن نعرف معنى هذا التعبير من الوجهة الفسيولوجية . فالحي يكون اصيلاً اذا نشأ من اتحاد خليتين من الخلايا الجرثومية وكانت الاصول التي تنشأ منها الصفات في الخلية الواحدة مثلها في الاخرى تماماً . ولما كانت اصول الصفات المختلفة مستقلة بعضها عن بعض كان لا بد من النظر في كل صفة على حدة ليعرف هل النسل اصيل فيها ام لا . فقد يكون الرجل اصيلاً في مواهبه الموسيقية وغير اصيل في لون عينيه وشكل فيه . ولا نعرف شيئاً عن كنه هذه الاصول ولكننا مع ذلك نعرف كثيراً عن فعلها . فعليها يتوقف طول الانسان ولونه وشكله وغرائزه وقواه العقلية والبدنية وكثير من صفات الحيوان والنبات حتى انه

يحق لنا ان نتوقع ان البحث على طريقة التحليل سيظهر ان هذه الاصول هي سبب كل الفروق بين افراد النوع الواحد . ولا اظن انها سبب الفروق الكبيرة التي تميز نوعاً من الاحياء عن نوع آخر مستقل عنهُ على ان الحقائق التي لدينا تقوي الظن بانها تميز الانواع وهذه الحقائق التي قدمتها صارت من المقررات التي يفهمها كل ارباب العلم وقد كثر شرحها وايضاحها فلا ارى لزوماً لسرد الشواهد عليها في هذا المقام ولكني مزود هنا خلاصة ما عرف من هذا القبيل لافادة الذين لا يتابعون هذه الابحاث عادةً

لما كانت الاصول التكوينية اشياء محدودة موجودة في الخلايا الجرثومية او غير موجودة فيها فالحي الناتج من اتحاد خليتين جرثوميتين فيهما اصل مخصوص يكون اصيلاً في الصفة التي تقابل هذا الاصل . والحي المتولد من خليتين ليس فيهما هذا الاصل يكون اصيلاً ايضاً في خلوه من هذه الصفة . فاذا جاء الحي اصيلاً على هذه الطريقة فكل الجراثيم التي يولدها تكون متماثلة لانها جميعها اجزاء من الجرثومتين اللتين اتحدتا اولاً لتكوينهِ . وهذا يوصلنا الى قانون مهم وهو ان الحي لا يقدر ان يورث نسلهُ صفة لم يكتسبها هو عندما تلقحت جرثومتهُ . وعليهِ فالزوجان اللذان ينقصهما صفة مخصوصة يولدان نسلاً تنقصهُ تلك الصفة والزوجان الاصيلان في صفة مخصوصة يولدان نسلاً فيهِ تلك الصفة . وجراثيم الحي الاصيل كلها متشابهة ولكن جراثيم الحي غير الاصيل اي الذي نشأ من اتحاد جرثومتين مختلفتين الواحدة عن الاخرى تأتي مختلفة بعضها عن بعض . وينفصل كل اصل من الاصول الايجابية عن الاصل السلبي الذي يقابلهُ فتأتي كل جرثومة اما محتوية على ذلك الاصل او خالية منهُ . واذا عُرفت هذه الاصول بواسطة ما يرى من مظاهرها امكن الانباء بصفات الانسال المتولدة من تزاوج احياء معروفة على وجه عام

ولا يعرف اهمية هذه القوانين البسيطة الا الذين شاهدوا صدقها واطرادها . فنحن ننظر الى ما وراء صورة الجسم الظاهرة ونجرب ان نرجع صفاتهِ المختلفة الى الاصول التكوينية التي نشأ من اتحادها . واذا عبرنا عن اكتشافاتنا في هذا السبيل بعبارات كلية فقد تظهر بعيدة عما نشاهدهُ ونختبرهُ ولكن اذا الفنا العقل تغير نظر الانسان في الكون . تأمل تأثير الانفصال في الاحياء التي تشاهدها — في النبات والطير والكلاب والخيل وهذا الخليط من الناس الذي نسميهِ الشعب الانكليزي واولاد اصدقائك واولادك وفي نفسك ومهما بالغت بعد ذلك في التضييق على مخيلتك وتقييدها بالحقائق التي قامت الادلة على صحتها لا يمكنك الا ان تشعر بانك وقفت على شيء من سر الطبيعة هو مما بدأنا نقف عليهِ بواسطة البحث على طريقة

منها . ولكن أليس في الوراثة عوامل غير العوامل التي تبتدئ قوانين مندل ؟ هذا السؤال يرداد كثيراً وقد كنت اتوقع ان يكتشف شيء من ذلك ولكن حتى الآن لم يكتشف شيء ثابت . نحن لا نعرف كيف ان بعض الاشكال اذا تزوجت مع خلاسيات بينها وبين غيرها لم تعد تظهر في النسل — ومن هذه الاشكال غنم الماريبوس والحمام المروحي الذنب ولكن يمكن تعليل هذه الشذوذ باعتراض عوارض مختلفة وهو تعليل وجيه يصعب دحضه ولكن يظهر لي ايضاً انه يمكننا القول بان سبب ذلك هو ان انفصال الاصول لم يجيء تاماً . اما توارث الصفات التي تقع تحت الحس فلا نعرف شيئاً عنه حتى الآن فهو لا يزال سراً غامضاً مثل كثير غيره من المسائل . وقد اكتشف بور ورلكر ان الطبقة السفلى من قشرة النبات وهي الطبقة التي تتولد فيها الخلايا الجرثومية قد لا تكون فيها سوى صفات قسم من بدن النبات . وذلك يستلفت النظر الى وجود اختلافات غريبة ويبعث على الظن ان العلاقة بين الجسم والجمع قد تكون ابسط مما نظن بكثير . ولكن على العموم لا نرى مانعاً يمنع من ان تكون الصفات التي تقع تحت الحس تتوارث في الحيوان والنبات في طرق تتفق مع القول بان للصفات اصولاً تقابلها

والشواهد التي جمعت بهذه الطريقة التجيلية قد اصبحت كثيرة جداً وهي لا تزال آخذة بالازدياد سريعاً بهمة الباحثين الكثيرين . ويضيق بي المقام اذا جئت اسرد التفاصيل فاكتفي بالقول ان تقدمنا لم يقتصر على البرهان ان انفصال الاصول يؤثر في صفات كثيرة بل قد اتينا في خلال بحثنا التحليلي عن حقائق كثيرة لم يكن لنوقعها . وبعض هذه الحقائق كان مما لا يمكن تصوره قبل هذا الاوان بعشرين سنة . من ذلك ان اعضاء التناسل في النبات الواحد قد تختلف فيكون لنسل الاعضاء الذكرية صفات تخالف صفات نسل الاعضاء الانثوية . وفي بعض الحيوانات تظهر بعض الصفات في الاناث فقط او في الذكور فقط مع ان لا علاقة لها باعضاء التناسل وفي انواع اخرى قد تجيء الذكور مثل اسلافها وتلد الاناث فتجيء خلاسية تبيض بيوضاً بعضها ينشأ منه حيوانات خلاسية مثلها وبعضها يختلف عنها . وقد تجتمع في حيوان واحد صفات لا علاقة لبعضها بالبعض الآخر فيورثها منه اكثر نسله وتظهر مجتمعة في العدد الاكبر من احفاده — وهذا الاكتشاف يوقفنا عند مظهر جديد من مظاهر نمو الاحياء في جهات مخصوصة

نعرف تمام المعرفة ان للبيضة الخصبة جهات مخصوصة متميزة بعضها عن بعض فلها مقدم ومؤخر مثلاً ولكن تزيد في معارفنا الآن انها في ان الخلايا الجرثومية الاولية التي تكون

منها يمكن ان يكون لها وضع مخصوص يظهر في مجمع الاصول الوالدية فرقاً فرقاً . واي اشك في صحة القول ان انفصال الاصول يقع عند بلوغ الخلايا الجرثومية فقط واميل في الوقت الحاضر الى الاعتقاد انهُ لا يقع دفعة واحدة بل في اوقات مختلفة على غير نظام مرافقاً لانشقاق الخلايا . واشك ايضاً في ان ظهور الصفات الوراثية بحالة منتظمة في النسل الثاني من القطاني مثلاً هو نتيجة انفصال جاء متأخراً جداً فعدم انتظامهِ في نباتات اخرى قد يؤخذ منهُ انهُ قد يقع قبل هذا الحد

ووراثة العمى اللوني وغيرهِ من الصفات التي يرثها احد الجنسين دون الآخر كانت تعد من شواذ الطبيعة التي لا يضبطها ضابط ولكن قد عرف نظام توارثها الآن معرفة تقريبية وصرنا نعرف شيئاً عن الطريقة او الطرق التي يصير بها الجنين ذكراً او انثى في بعض الاحياء ولكني ابادر فاستدرك على قولي هذا اننا لا نعرف حتى الآن وسيلة يمكن ان تؤثر في جعل الجنين ذكراً او انثى . وواضح ان لهذه الاكتشافات علاقة بالمسائل الحيوانية والنباتية نظرية كانت او عملية وثبات مقومات الشكل او تغيرها وبلوغ الشكل حد الكمال وخلوص الاصل او امتزاجهُ ونشوء الشعوب وتابع الاشكال هذه كلها ليست كما كانت تعابير ليس لها معنى محدود بل صار لها معانٍ فسيولوجية محددة تحديداً يكاد يكون تاماً في دقائقهِ . ولهذه الامور عند الطبيعيين — وكلامي اليوم موجه اليهم خصوصاً — اهمية كبيرة في تاريخ الاحياء اي في مذهب النشوء كما يسميهِ علماء العصر . ولها ايضاً علاقة بسير الاجتماع البشري كما سأبين في خطبتي الثانية التي سألقيها في مدينة سدني

اظن ان كل احد يعرف رأي داروين في اصل الانواع معرفة عامة . فقد كثرت الكتابات مدة الخمسين سنة الاخيرة في الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح شرحاً وتوسعاً في البحث . ولا شك في ان الصالح من الاحياء يقدر ان يحل محل غيرهِ . هذه القضية صحيحة ولكنا نشك في تأثيرها في سير النشوء وقد ارجئ الجدال في هذه المسألة الآن . واننا نعتمد على داروين في الحقائق التي جمعها وفي تؤلف مجموعة فريدة في بابها ونود لو امكننا الاقتداء بهِ في تبحرهِ وتوسعهِ ومقدرتهِ على ايضاح المسائل ولكن لم يبقَ لكلامهِ سلطة فلسفية علينا بل صرنا نقرأ رأيهُ في كيفية حدوث النشوء كما نقرأ آراء لتريفيرانس ولمارك التي تروق لنا بساطتها وجرأة اصحابها . فالبحث العملي في التباين والوراثة لم يقتصر على فتح مجال جديد بل غيَّر نظرنا وجهة بحث جديد واقيسة جديدة لنقد الآراء . وقد ترى طبيعيين في هذه الايام يعلل النشوء بانهُ وسيلة لغاية ولكن الذين يعلمون بذلك قليلون . والباحثون في تكوين

الاحياء متفقون الى وقت استنتاج الاحكام الضرورية العامة ثم يحن بعد وذلك يوجهون عمهم الى مستنبت البذور ومفرخ البيض

ولا بد لنا تجاه ما تحققناه من اتساع نطاق التباين في الطبيعة ان نقلل من الاهمية التي تعلق على الانتخاب الطبيعي في تمييز الانواع وتثبيتها . ولا ينكر ما للناموس بقاء الاصلح من التأثير في الحي على وجه العموم ولكن القول بتأثيره في اعضاء الجسم واعمالها كل على حدة والاستناد الى العلم في القول بان كل شيء يتأثر مع محيطه من قبيل اعتقاد العلماء في القرن الثامن عشر ان كل شيء في الطبيعة على افضل ما يمكن ان يكون عليه . ولكن رغماً عن ذلك قد كانت الامور الجزئية والاختلافات الجزئية كالبقع في ذنب الطاووس والوان النبات المعروف بالحب وما اشبه اهم ما استند اليه في تحقيق فعل الانتخاب الطبيعي والاستشهاد على صحته . واذا جرد القول ببقاء الاصلح عن هذه الدعاوى كان من المسلمات التي لا تساعد كثيراً على تعليل تعدد الانواع من حيوان ونبات . بل ان القول بان الطبيعة متسامحة وقد افسحت مجالاً لجميع الاحياء يكفي لهذا التعليل مثل القول ببقاء الاصلح والتسليم بما قدمت يزيل آخر اثر من آثار ما كان الفلاسفة في القرن الماضي يلبسونه مذهب النشوء من الكلام الطنان المبني على التعمد اي على ان كل حي وكل عضو من اعضائه يتكون حسب الغاية التي وجد لاجلها . اما الذين يدعون ان ليس في الكون الا ما هو صالح فيحسن بهم ان يعترفوا ان دعواهم مبنية على الوهم ولا سند لها في الحقائق الطبيعية

قال سلي السنة الماضية ان هذا العصر يشرع بتقدم سريع وشك اساسي في ما يختص بعلم الفلسفة الطبيعية وذلك يصدق على علم الحياة ايضاً . ومن خصائص المفكرين في النشوء من علماء هذا العصر الاقرار بالعجز والضعف تجاه المسائل الحيوية الخطيرة . وكل مذهب في النشوء يجب ان يوافق الحقائق الكيماوية والطبيعية المقررة ولم يكن اسلافنا يعتدون بهذا الشرط الاولي كثيراً كانوا ينظرون الى عالم المجهولات نظرهم الى مخ ذي بالممكنات يتناولون منه ما شاؤوا اما نحن فننظر اليه كمحجر صلد لا يمكن اختراقه ولا استخراج الحقائق منه الا كسراً صغيرة متفرقة . ومعارفنا في كيمياء الحياة وطبيعياتها تقرب من العدم فان خصائص الاشياء الحية محصورة في خواص المواد الفردية وتتوقف بالاكثر على قوى الخمائر الكيماوية ولكن درس هذه الانواع من المواد لم يزل في بدايته فان اقل نظر الى المواد الحية يرينا ان فيها قوى لم نكن نحزرها ومن يعلم ما يمكن ان يكون وراء ذلك

ستأتي البقية

الشعوب الصقلبية

العناصر الاوربية الكبيرة ثلاثة العنصر الصقلبي والعنصر التوتوني والعنصر اللاتيني · والاول اكثرها عدداً واوسعها بسطة في اوربا ولكنه لم يبلغ شأو الاخيرين في الرقي والحضارة والغنى ومنهُ الروس والبولونيون والبوهيميون والسلوفينيون والصرب والبلغار · والثاني اي العنصر التوتوني اعلاها كعباً وارقاها على العموم ومنهُ الالمان والكثير السويديين والانكليز واهل اسوج ونروج ودنمارك وهولندة وجانب كبير من اهل البلجيك وسويسرة · ومن الثالث اي العنصر اللاتيني اهل فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتوغال ومعظم اهل البلجيك ورومانيا

واسم الصقالبة في لغاتهم سلوفيني ولكن اليونان والرومان زادوا كافاً بين اول الاسم وثانيهِ ويظهر ان العرب تابعوا اليونان في هذه الزيادة فسموهم صقالبة · واكثر ما ندعوهم الجرائد العربية بالسلاف نقلاً عن الافرنسية او الانكليزية

نشأ الصقالبة في اواسط اوربا وتميزوا عن الشعوب الاخرى تميزاً تدريجياً في اللغة والعادات والاخلاق · ولم يكن لهم في اول الامر مميزات خاصة في شكل رؤوسهم وسحنهم ولقاطيع وجوههم كما يظهر من قياس جماجمهم الباقية في القبور ومن وصف المؤرخين لهم بل كانوا يختلفون بعضهم عن بعض من هذا القبيل

هذا مبدأ هذه الشعوب التي تسعى روسيا الى رفع شأنها وجمع كلمتها حتى انها لم تحجم عن خوض الحرب الآن انتصاراً لاحدها وهو الشعب الصربي · وقد رأينا ان نصفها وصفاً جغرافياً اجمالياً يبين انتشارها في اوربا وحال كل منها في عصرنا الحاضر واكثر اعتمادنا في كلامنا على فصل للاستاذ لويز نيدرل من الجامعة البوهيمية في براغ بالنمسا

لم يكن الصقالبة عند اول ظهورهم في التاريخ شعباً واحداً بل اقواماً تختلف بعضها عن بعض · وكان مهدهم على ضفاف نهري الاودر والدنيبر ومنهُ انتشروا قبل عصر التاريخ بين نهر البا وشواطئ البحر الاسود وانشقوا الى ثلاثة فروع · اولها فرع الابا الى الغرب ومنهُ البومرانيون والبولونيون والبوهيميون والسلوفاك وثانيها الفرع الذي استوطن البلقان ومنهُ السلوفينيون والصرب والبلغار · وثالثها واهمها انتشر الى الشمال حتى فنلندا والى الشرق حتى الدون والفولغا والى الجنوب حتى البحر الاسود والطرمه فكان منهُ الشعب الروسي · واهم الشعوب الصقلبية الروس والبولونيون والبوهيميون والسلوفينيون والصرب والبلغار واليك الكلام على كل منها على حدة

الروس — هم اكثر الشعوب السلافية عدداً ولا يعرف مبدأ اسمهم ولكن أطلق عليهم اسم الروس في القرن العاشر لبلادهم بعضهم من بعض الادلة التاريخية وكانوا حتى ذلك العهد قبائل عديدة متقاطعة مستقلة بعضها عن بعض ولم يكونوا قد امتدوا الى بلاد روسيا الشرقية بل كان فيها اقوام عديدة . اما في جهة الغرب والجنوب الغربي فتح البولونيون تبسطهم وفي جنوب اقترضتهم الشعوب الكثيرة التي احتلت البلاد فقد اجتاحها القوط والهون والهن والبلغار والافار والخزر والمجر كل في دوره ولكن اكثر هذه الشعوب اجتازها اجتيازاً ولم يخلف فيها اثراً يذكر

وفي القرن العاشر بدأ الروس يمتدون الى شواطئ البحر الاسود ولكنهم لم يلبثوا ان اعترضهم الترك وبعض الشعوب الاسيوية الاخرى فكانت لهم معهم حروب كثيرة . وفي القرن الثالث عشر انقض عليهم التتر في جوار البحر الاسود فخربوا بلادهم وتركوا اكثرها قفراً بلقعاً لكثرة من قتلوا وسبوا . وكان من وراء ذلك ان تيار الاستعمار الروسي تحول الى الشمال والشمال الغربي . ثم تقربت القبائل الروسية بعضها من بعض تدريجاً فكان منها الشعب الروسي كما هو الآن ولكنه لا يزال يختلف بعض اختلاف عن البعض الآخر في الاخلاق والعادات واللغة . واخذ الروس منذ القرن الخامس عشر يتوسعون في امتلاك البلاد التي شرقيهم وجنوبيهم وزاد توسعهم فيها في ايام بطرس الاكبر في اوائل القرن الثامن عشر وما زالوا يستولون على املاك خانيات التتر التي كانت في جنوب بلادهم شيئاً فشيئاً الى ان استولوا عليها كلها سنة ١٧٨٣ باستيلائهم على شبه جزيرة القرم . اما استعمارهم لسيبيريا فبدأ في القرن السادس عشر واكثر من اربعة اخماس السيبيريين الآن من الروس

ويبلغ عدد الروس الصقالبة الآن ٨٠ مليوناً وسكان المملكة الروسية مع املاكها في اسيا نحو ١٧٠ مليون من النفوس . ونسبة الاناث فيهم الى الذكور كنسبة ٣ و٤ الى ١٠٠ فهم مثل غيرهم من الشعوب الاوربية من هذا القبيل . والمواليد فيهم كثيرة اذ يولد ٤٨ مولوداً لكل الف نفس منهم في السنة ولكن الوفيات كثيرة ايضاً تبلغ ٣٤ وفاة لكل الف . واكثر البلاد الروسية سكاناً المقاطعات التي الى الشرق من بولونيا وافلها عمارة الاقسام الشمالية وسيبيريا . وهم في الغالب ملتحمو الرؤوس اما سحنتهم فتختلف كثيراً

البولونيون — واسمهم في الاصل لياشوفي وليانهي وكانوا قبائل عديدة تعرف احدادها بالبولاني تغلبت على القبائل الاخرى في اوائل القرن الحادي عشر فغلب اسمها عليهم جميعاً منذ ذلك الحين . اما مواطنهم فكانت منذ البدء حيث هي الآن اي بين نهر الاودر غرباً

وبحر البلطيك شمالاً وجبال كرباثيا جنوباً فهم يتزحزحوا مثل باقي الشعوب الصقلبية

وكانت لهم حروب كثيرة مع الالمان لان بلاد هؤلاء كانت تضيق بهم فيحاولون الاستيلاء على بلاد جيرانهم . وفي القرن الثالث عشر اكتسح التتر بلادهم وفرقوا قوتهم فكاد الالمان يذهبون بملكهم وارضهم ولكنهم استجمعوا قواهم ثانية وصدوا التيار الالماني في القرن الخامس عشر وتمكنوا من المحافظة على ما بقي لهم ولكن لم يستطيعوا ان يستعيدوا ما اخذه الالمان منهم . واضطروا عند ذلك الى الاستيلاء على المقاطعات الروسية شرقيهم فوقعت بينهم وبين الروس حروب دامت قروناً واشتركت روسيا مع بروسيا والنمسا في اقتسام بولونيا سنة ١٧٧٢ ثم سنة ١٧٩٣ ثم سنة ١٧٩٥ واستولت على قاعدة ملكهم مدينة وارسو (او فرسوفيا)

ولكن البولونيين لم يذهبوا بذهاب ملكهم فهم لا يزالون شعباً اوربياً متميزاً بلغته ومدنيته رغماً عن مساعي روسيا والمانيا والنمسا . وكل من هذه الممالك تحاول نشر لغتها ومدنيتها في ما استولت عليه من بولونيا . وعددهم نحو ١٩٠٠٠٠٠٠ منهم نحو ٨٥٠٠٠٠٠ في روسيا ونحو ٤٢٥٠٠٠٠ في المانيا ونحو ٣٤٠٠٠٠٠ في النمسا . ويشبهون في سحناتهم واشكال رؤوسهم بعض فروع الشعب الروسي

اليوهيميون والسلوفاك — ومنشأهم بين بولونيا ونهر الباو ولا يعرف في اي عهد اتوا بلاد النمسا التي يقطنونها الآن ولا كيف كان ذلك . وكانوا في القرن السابع منتشرين من بفاريا الى الطونه ومعظمهم في بلاد المجر وكانوا قبائل عديدة اهمها قبيلة التشك التي ما زال اسمها يطلق عليهم جميعاً حتى اليوم

وكاد اليوهيميون في اول امرهم يفقدون قوميتهم ولغتهم ويندمجون في العنصر الالماني ولكنهم انتبهوا لذلك في القرن الرابع عشر فتذرعوا بكل وسيلة لمنعه ومساعدتهم مناعة بلادهم الطبيعية . وهم اليوم من ارقى الشعوب الاوربية في سلم المدنية وبلادهم زاهرة بالمدارس والمصانع وعددهم في بوهيميا نحو ٧٠٠٠٠٠٠ ويبلغ السلوفاك الذين في المجر نحو ٢٠٠٠٠٠٠ واليوهيميون اكثر تهذيباً من كل امة اخرى في اوربا اما السلوفاك الذين في المجر فيكثر الاميون بينهم واكثر ما يتعيشون بالزراعة والصناعة . وهم طوال القامة مفلطحو الرؤوس في الغالب ولكن تفريغ جماجمهم كبير . ويختلفون كثيراً في اللون ولكن السمرة اغلب عليهم

السلوفينيون — هم فرع من الصقالبة انتشر في القرن السابع في الجهات الجنوبية الغربية من النمسا ولكنهم امتزجوا بالالمان ولم يبق منهم الآن الا قليل وعددهم لا يزيد على المليون كثيراً

الصرب والكرواتيون — من سلالة الجنوب اي اصلهم واصل البلغار والسلوفينيين واحد . وكانوا قبائل عديدة ارتحلت جنوباً الى بلاد البلقان واستوطنتها ثم تميزت عن تعادي الايام الى نوعين الكرواتيين والصرب . وبقي الكرواتيون مستقلين في شؤونهم الى ان ضمتهم المجر الى املاكها سنة ١٠٠٢ ولما اتحدت المجر مع النمسا سنة ١٥٢٦ صاروا قسماً من امبراطورية النمسا والمجر . اما القبائل الصربية فلم تجتمع كلمتها الا بين القرنين العاشر والحادي عشر وبقوا مستقلين حتى سنة ١٣٨٩ حين كسرهم العثمانيون في واقعة قوصوه واحتلوا بلادهم بالاملاك العثمانية وعلى اثر ذلك نزح كثير منهم ومن الكرواتيين الى المجر والمقاطعات النمسوية الجنوبية ولم يستقلوا ثانية الا في اوائل القرن التاسع عشر

ومن الكرواتيين اهل كرواتيا وجانب من اهل ايستريا ودلماطيا والبوسنه وجنوب المجر وسلافونيا . اما الصربيون فمعظمهم في مملكة الصرب وجبل الاسود ومنهم كثيرون منتشرون في البوسنه ودلماطيا وسلافونيا وجنوب المجر . ولا يعرف عدد الصرب والكرواتيين تماماً ولكنهم يقدرون بنحو ٩٠٠٠٠٠٠ منهم نحو ٢٠٠٠٠٠٠ في البوسنه والهرسك ونحو ٣٥٠٠٠٠٠ في باقي اقسام النمسا والمجر ونحو ١٠٠٠٠٠٠ في مملكة الصرب والجبل الاسود . واكثرهم يحترفون الزراعة والذين يتعاطونها منهم يزيدون على ٨٠ في المئة وهم في الغالب مفلحو الرؤوس

البلغار — نشأوا في الشمال الشرقي من النمسا ثم نزحوا الى بلاد البلقان واستوطنوها وبقوا قبائل متقاطعة الى ان غلبتهم قبيلة البلغار التركية الاصل في اواخر القرن السابع وجمعت كلمتهم وامتزجت بهم واقتبست لغتهم ودينهم ومنذ ذلك الحين عرفوا بالبلغار

وتمتد سلطانهم كثيراً في القرنين التاسع والعاشر حتى كاد يعم بلاد البلقان كلها ولكن الاتراك العثمانيين اخضعوهم في آخر القرن الرابع عشر والحقوا بلادهم بالاملاك العثمانية فبقوا خاضعين للترك حتى سنة ١٨٧٨ حين استقلوا ثانية بمعونة روسيا . وسنة ١٨٨٥ استولوا على الرومللي الشرقية ولم يعترف الباب العالي باستقلالهم الا سنة ١٩٠٨

والبلغار نحو ٥٠٠٠٠٠٠ وليس منهم خارج البلقان الا قليل جداً . ومعظمهم في مملكة البلغار ومنهم جانب في رومانيا واملاك الصرب واليونان وهم مزروعو القوام يكثر فيهم السمر وغالبهم مستديرو الرؤوس . والصقالبة الذين في مكدونيا التي استولى عليها اليونان والصرب بين البلغار والصرب في لهجاتهم التي يتكلمونها ولذلك يصعب الفصل في من يعدون بلغاراً او صرباً

حقائق عن الدول المحاربة

(تابع ما قبله)

فرنسا

فرنسا الجمهورية الوحيدة بين الدول المحاربة اوصلها الى جمهوريتها الخاسرة حربها مع المانيا سنة ١٨٧٠ بعد ان كانت امبراطورية فهل تقلب هذه الحرب صورتها الجمهورية وتردها امبراطورية او ملكية اسوة لما بحليفاتها روسيا وانكلترا والبلجيك والصرب

وقد بلغ عدد سكانها ٣٩٦٠١٥٠٩ في احصاء سنة ١٩١١ وكانوا مثل ذلك تقريباً سنة ١٩٠٦ لان عدد المواليد قلما يزيد على عدد الوفيات لا لكثرة الوفيات بل لقلة المواليد

العاصمة باريس وقد بلغ عدد سكانها ٢٨٨٨١١٠ في احصاء سنة ١٩١١ ولتليها مرسيليا فليون وفي كل منها اكثر من نصف مليون قليلاً ثم بوردو وليل في كل منها نحو ربع مليون

وقد قدرت ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٤ هذه ٥٣٧٣٥١٧٩٨٤ فرنكاً او ٢١٤٩٤٠٧١٩ جنيهاً هذه ميزانية الدخل واما ميزانية المصروفات فقدرت ٥٣٧٣٣٢٩٤٤٩ فرنكاً او ٢١٤٩٣٣١٧٨ جنيهاً يخص نظارة الحربية من ذلك ١٤٣٦٤٩١٥٩٤ فرنكاً او نحو ٥٧ مليون جنيه ونظارة البحرية ٥٨٥١٥٧٦٩١ فرنكاً او نحو ٢٣ مليون جنيه ونصف مليون ويبلغ دين الحكومة الفرنسوية ١٤٣٢ مليون جنيه

ويبلغ طول سواحل فرنسا على الاوقيانوس الاتلنتيكي ١٣٠٤ اميال وعلى بحر ازوم ٤٥٦ ميلاً ويبلغ طول تخومها المجاورة لبلجكا والمانيا وسويسرا وايطاليا ١١٥٦ ميلاً وطول تخومها المجاورة لاسبانيا ٤١٩ ميلاً

واكبر حصونها مدينة باريس فانها مكتنفة بسور يبرز منه ٩٧ طابية وفيه ١٧ حصناً قديماً ووراءه ٢٨ حصناً جديداً بطرباتها يتكون منها معسكران في سان لوي وفرسالية

والمدن المحصنة كثيرة فعلى التخوم الالمانية فردين وتول واينال وبلفور في الخط المقدم وموبوج ولافر ورمس ولاجر ورديجون وبزانسون في الخط الثاني . وعلى التخوم الايطالية بريانسون وغرنوبل في الخط المقدم وليون في المؤخر . وفيها حصون اخرى متفرقة في اماكن مختلفة في تنسي ولنفيل ورمسمون ونيس . وحصونها على السواحل في طولون ورشفور ولوريان وبرست وشربورج وكلها مرافئ محصنة

الجيش الفرنسوي

الخدمة في الجيش الفرنسوي اجبارية عامة ولا يعفى منها الا الذين لا يليقون لها من الوجهة الصحية والجسدية . وتبتدئ الخدمة الآن من سن العشرين (وكانت تبتدئ من سن الحادية والعشرين سابقاً) وتنتهي في الخامسة والاربعين فيقضي الجندي ثلاث سنوات (وكان يقضي سنتين) في الخدمة العاملة ثم ينقل منها الى الاحتياطي فيقضي فيه ١٠ سنة وينقل منه الى الجيش المحلي فيقضي فيه ست سنوات وينقل منه الى الاحتياطي الوطني فيقضي فيه ست سنوات وبها تنتهي خدمته العسكرية . ويطلب من الجنود الذين في احتياطي الخدمة العاملة ان يتمرنوا على الحركات العسكرية ويقوموا بالمناورات مرتين وتكون مدة التمرين اربعة اسابيع في كل مرة ويطلب منهم ذلك مرة واحدة وهم في الجيش المحلي لمدة اسبوعين وينقلون منه في الاحتياطي لجيش الخط

ويجوز التطوع في الجيش الفرنسوي ولكن لمدة اكثر من سنة واحدة والحكومة تشجع المتطوعين على الارتباط بالخدمة من ثلاث سنوات فاكثر الى خمس سنوات

ولما كانت المدة التي يقضيها الجندي الفرنسوي في احتياطي الخدمة العاملة طويلة فعدد الجنود الاحتياطية الذي يصيب كل اورطة كثير جداً قد يزيد على الفي جندي . فاذا عبئ الجيش فهذا الاحتياطي يزيد عن ايصال كل اورطة الى قوتها الحربية اللازمة فيؤلف احتياطياً آخر لكل اورطة والآلاي ويزيد عنهما ايضاً فيؤلف قسماً من احتياطي المستودعات

ويتألف الفيلق في الجيش الفرنسوي من فرقتين والفرقة من لوائين واللواء من الايين والآلاي من ست اورط ولكنه قد يؤلف من سبع اورط او ثمان ايضاً . وفي الفيلق حين تعبئته ٣٣ الف جندي . والجيش كله مؤلف من ٢٣ فيلقاً و ٤١ لواء من الفرسان او نحو ٧٣٠٠٠٠ جندي

ولكل فرقة من المشاة الآلاي من مدفعية الميدان والآلاي يتألف عادة من تسع بطاريات في كل منها اربعة مدافع ولكل فيلق علاوة على بطاريات الفرقتين اللتين يتألف منهما تسع بطاريات ميدان واربع بطاريات هوتزر وست « بطاريات عمدة » وجملة ذلك ٣٦ بطارية او ١٤٤ مدفعاً . ثم ان للجيش كله ٤٦ بطارية من المدافع الكبيرة في كل منها مدفعان اي ٩٢ مدفعاً لكل فاذا قسمت على ٢٣ فيلقاً اصاب الفيلق منها اربعة مدافع علاوة على العدد الآنف الذكر فيكون مجموع ما يصيبه ٤٠ مدفعاً . ويلحق بكل فيلق ايضاً في ساحة

الحرب فرقاً من الفرسان مؤلف من الابين واورطة من الجنود المطاردة ربضة بفركات من المهندسين

وتؤلف فرقة الفرسان من ثلاثة الوية واللواء من الابين والالاي من اربع اورط تلحق بها فرقة من المدفعية اوراكبة فيها بطاريتان في كل منهما ستة مدافع . ويكون في فرقة الفرسان عادة ٤٢٠٠ فارس . وفي الجيش كله دائماً ثماني فرق تزاد في زمن التعبئة الى عشر فرق

وينقسم الجيش الفرنسوي الى قسمين كبيرين وهما الجيش المحلي او المتروبولتان وجيش المستعمرات وكل منهما ينقسم الى قسمين فرعيين وهما الجيش الموضعي وجيش المقاطعات

وفرنسا مقسومة مع الجزائر الى ٢٣ قسماً عسكرياً وعلى كل قسم ما عدا الجزائر ان يجيش فيلقاً كاملاً وعدداً معيناً من الجنود للفرسان والمهندسين والمدفعية الحامية وسواها من اسلحة الجيش

وتقسم الجنود الاحتياطية للخدمة العاملة الى فرق بنسبة عدد فرق الجيش العامل . وفي فرنسا ٣٦ فرقة من الاحتياطي مؤلفة من العدد والمعدات التي تتألف منها فرق الجيش العامل تماماً . ولكل قسم من الاقسام العسكرية في فرنسا احتياطي خاص به فيؤلف منه ومن رجال المدفعية المشاة والمهندسين حامية الحصون

وفي الجيش المحلي ٣٦ فرقة ايضاً وما يلزم من الجنود لحاميات البلاد . اما الجيش الجزائري فله احتياطي خاص به واحتياطي محلي ايضاً لعشر اورط من الزواف و٦ اورط من الفرسان المطاردين الافريقيين و٩ اورط من مدافع الميدان الى غير ذلك مما يلزم لسائر الاسلحة

اما الجنود التي تزيد من احتياطي الخدمة العاملة واحتياطي الجيش المحلي فتوضع في المستودعات بعد اتمام التعبئة لتسد بها الخسارة التي تقع في صفوف المحاربين

وفي الجيش الفرنسوي فيلق للجوارك مؤلف من ٣٨ اورطة . وفيه ايضاً عدد كبير من حراس الغابات والحراج وهم يجندون عادة من الذين ينقلون من احتياطي الخدمة العاملة الى الجيش المحلي فيحسن استخدامهم في حاميات البلاد

ويلحق بالجيش قوة الجندرمة وهي كناية عن بوليس عسكري يؤخذ رجاله من الجيش وفي كل قسم من اقسام فرنسا العسكرية لجيون او اكثر من الجندرمة ومجموع ما في الاقسام كلها ٢١٧٠٠ نفر نصفهم فرسان والنصف الآخر مشاة

ما الحرس الجمهوري وكتبة في باريس فيتألف من ثلاثة آلاف جندي ثلثي منهم من الفرسان

وفي فرنسا نفسها جيش استعماري دائم يؤلف في زمن السلم من ٢٠ الاف من المشاة في كل منها ثلاث اورط ومن ثلاثة الايات من المدفعية فيها ٢٠ بطارية نصفها من مدافع الميدان والنصف الآخر من مدافع الحصون

اما في المستعمرات فيتألف الجيش الاستعماري من ٣ اورط من الجيوش التي في الهند الصينية و ١٣ اورطة من المشاة و ٤ اورط من الفرسان و ٣٢ بطارية من مدافع الميدان والحصار واورطة من الفرسان الوطنيين و ٣ بلوكات من جنود التحصين الوطنيين و ٤٩ اورطة من المشاة الوطنيين (وهي ١٢ اورطة من الجنود السنغاليين المطاردين و ٣ اورط من جنود الصحراء الكبيرة و ١٢ من جنود تونكين و ٩ من الجنود الملغية و ٤ من جنود انام المطاردة و ٣ من جنود غرب افريقية و ٦ اورط من جنود الكونغو الفرنسوية)

ويبلغ عدد الجيش الفرنسوي في زمن الحرب نحو اربعة ملايين جندي وفيه نحو ثلاثة آلاف مدفع

والجندي الفرنسوي مشهور باقدامه وكره وحماسته وشجاعته ومقدرته على تحمل المشاق وقوة الابتكار الفائقة ورجال المدفعية الفرنسويون احسن رجال المدفعيات في العالم في الرماية وهم متمرنون عليها ولاسيما على اطلاق المدافع السريعة تمرناً لا مثيل له في الجيوش الاوربية

وموضع الضعف في الجيش الفرنسوي هو في مدفعيته الكبيرة

وتتم تعبئة الجيش الفرنسوي في ثمانية ايام و ١٢ ساعة اي انه يعبأ اسرع من الجيش الالماني باثنتي عشرة ساعة

وسلاح الجنود بندقية بين من عيار ٣٠ وهي من طرز قديم قليلاً ولكنها احدث من بندقية موزر المستعملة في الجيش الالماني . اما مدافع الميدان فمن التي قطر فوهتها ثلاث بوصات وهي احدث من مدافع الميدان في الجيش الالماني ايضاً

الاساطيل الفرنسوية

كان لفرنسا في ٣١ اكتوبر الماضي من السفن الحربية المنفذة والتي كانت تبنى اذ رسمت لتبنى ما تراه في هذا الجدول

	مبنية	تبنى	رسمت لتبنى
بوارج	٢٣	٧	٣
طرادات مدرعة	٢٠	—	—
حاميات السواحل	٤	—	—
طرادات محمية من الطبقة الاولى	٥		
« « « « الثانية	٤	—	٣
« « « « الثالثة	٥	—	—
سفن تربيد	٤	—	—
مدمرات	٧٣	١١	—
قوارب تربيد	١٩٦	—	—
غواصات	٧٣	١٧	٨

والبوارج مختلفة اربع منها من نوع الدردنوط بنيت حسب بيان سنة ١٩١٠ و ١٩١١ تفريغ كل منها ٢٣٤٠٠ طن وسمك درعها على جانبيها ١٠ بوصة وعلى ابراج مدافعها ١٢ بوصة وفيها ١٢ مدفعاً مما قطر فوهته ١٢ بوصة و٢٢ مدفعاً مما قطر فوهته ٥ر٥ بوصة واربعة انابيب تربيد وقوة آلتها البخارية ٢٦٠٠٠ والبوارج الباقية سابقة للدردنوط بنيت منذ عشرين سنة او اقل سرعتها ١٨ ميلاً في الساعة ومدافعها الكبيرة مما قطره ١٢ بوصة والصغيرة مما قطره ست بوصات الى عشر وسمك درعها ١١ بوصة او ١٢ بوصة

والطرادات تختلف سرعتها بين ٢٤ ميلاً بحرياً و٢٩ ميلاً وقوة آلاتها البخارية بين ٤٠٠٠٠ حصان و ٢٠٠٠٠ حصان واكثرها سريع تزيد سرعته على ٢٠ ميلاً بحرياً وسمك درعها ست بوصات او اكثر والحامية سريعة ايضاً مثلها وقطر مدافعها من تسع بوصات الى ست بوصات

ولفرنسا من المستعمرات والبلدان التابعة لها ما مساحته اربعة ملايين من الاميال المربعة ويقدر عدد سكانه بواحد واربعين مليوناً فسكانها وسكان مستعمراتها اكثر من ثمانين مليوناً وقد صار بعض مستعمراتها كالجزائر جزءاً منها . فلها في آسيا جانب صغير من بلاد الهند مساحته ١٩٦ ميلاً وعدد سكانه ٢٧٣٠٠٠ نفس ولها بلاد انام وكمبوديا وكوشين صين والتنكين ولاوس ومساحتها كلها ٣٠٩٩٨٠ ميلاً وعدد سكانها ١٤٥٠٠٠٠٠ ولها في افريقية بلاد الجزائر وسكانها نحو خمسة ملايين ونصف وتونس وسكانها نحو مليونين والصحراء وسكانها نحو ثمانمائة الف والكنجو الفرنسوي وسكانه نحو اربعة ملايين وجزيرة مدغشكر

وسكانها ثلاثة ملايين وربع · وسكان كل املاكها ومستعمراتها في افريقية ٢٥ مليونًا و ٦٨١ الفًا · ولها بلاد قليلة في اميركا وجزائر البحر

انكلترا

انكلترا سيدة البحار بلادها صغيرة ولكن البلدان الخاضعة لها يبلغ سكانها اكثر من ربع بني آدم · فان مساحة الجزائر البريطانية اي انكلترا واسكتلندا وارلندا ١٢١ ٦٣٣ ميلاً مربعًا وكان عدد سكانها في العام الماضي ٤٦ ٠٣٥ ٥٧٠ ومساحتها مع مساحة البلدان التابعة لها ١١ ٤٢٠ ٠٧٨ وعدد سكانها ٤٧٤ ٧٧٥ ١٦٠ وهاك بعض التفاصيل الاحصائية عنها وعن البلاد التابعة لها من حيث المساحة بالاميال المربعة وعدد السكان ودخل الحكومة ونفقاتها بالجنيهات وقيمة واردات البلاد وصادراتها بالجنيهات ايضًا وطول سككها الحديدية بالميل ومحمول سفنها البخارية والشراعية بالطن

	انكلترا واسكتلندا وارلندا	جبل طارق ومالطة	الهند	اسيا ما عدا الهند	استراليا وجزائر الباسيفيكي	افريقيا	اميركا	المجموع
المساحة بالاميال	١٢١ ٦٣٣	١٢٠	١ ٨٠٢ ٦٥٧	١٦٦ ٨٣٤	٣ ١٩١ ٧٧٣	٢ ١٣٥ ١٤٧	٤ ٠١٠ ٦١٤	١١ ٤٢٠ ٠٧٨
عدد السكان	٤٦ ٠٣٥ ٥٧٠	٢٢٥ ٠٦٧	٢١٥ ١٥٦ ٢٩٦	٨٧ ٠٩٥ ٥٢٣	٦٥٥ ٥١٣	٢٧ ٦٩٠ ٢٣٢	١٠ ٠٩٦ ٨٦٣	٤٢٤ ٧٧٥ ١٦٠
دخل الحكومة	١٨٨ ٨٠١ ٩٩٩	٥٤٧ ٣٧٢	٨٧ ٠٥٢ ٤٠٠	١٢ ١٦٥ ٤١٢	٧ ٨٨٤ ١٩١	٢٥ ٤١٢ ٧١٠	٢٩ ٢٦٨ ٠٢٨	٤٣٤ ٤٢٢ ٥٢٤
نفقاتها	١٨٨ ٦٢١ ٩٢	٥٠٩ ١٩٤	٨٢ ٦٥٨ ٧٠٠	٩ ٧٥٧ ٨٧٩	٧٧ ٢١١ ٥٢٢	١٥ ٦٠٢ ١١٤	٢٧ ٧٩٢ ٨١٧	٤١٢ ٢٦٦ ٢٦٧
صادراتها	٧١٤ ٢٨٨ ٤٢١	٧٩ ٠٨٠	٣٠٢ ٦٨٠ ٨٠٠	١٤ ٨٢٨ ٧٠٩	٢٨٢ ٠٢٩ ٢٩٦	١٢١ ٨٢٢ ٩٧٢	١١٢ ١٩١ ٠٢٥	١٦٦ ٨٥٠ ٩٠٤
قيمة وارداتها	٨١٢ ٠٦٢ ٥٥٧	٣٦١١ ٠٦١	١٥٩ ١٠٨٧ ٠٤	٨ ٠٤٥ ٠٢٢	١ ٠٢٢ ٤٩٤ ٨٩	١٢ ١٤٦ ٦٩٧	١٥٩ ١٧٢ ١٦٧	١ ٤٠٩ ٤٥٤ ٧١٢
« صادراتها	١٩٧ ٢٥٩ ١٧١	١ ٠٩٢ ٥٩٨	١٧٧ ٥٦٩ ٧٤٥	٨٢ ٤٤٢ ٢٥٦	٠٩٨ ٦٨٤ ٠٥٢	٨٥ ٠٥٢ ٢٤٤	٠٩٤ ٩٨٠ ٥٢٦	١ ٢٧٦ ٠٨٢ ٦٩١
طول سككها الحديدية	٢٢ ٤٤١	٨	٢٢ ٤٨٤	١ ٥٢٩	١١ ١١٠	١٠ ٠٠٢	٢٠ ٥١٢	١٢٢ ٦٨٦
محمول سفنها البخارية	١٠ ٦٩٢ ٠٧٢	٣ ٢٠٧	٩٤ ٨٢١	٧٠ ٦٣٧	٤٢٢ ٧٠٨	١٦ ٧٨٢	٤١٨ ٢٥٧	١٢ ٠٢٩ ٤٩٦
محمول سفنها الشراعية	٦٢ ٧١٨	٤ ٥٢١	١ ٠٥٠	٧٥ ٤٣٦	١٦٤ ٤٠٢	٢٦٨	٦٥٢ ٧٢١	١ ٨١٧ ٦٢٢

والجيش الانكليزي قليل جداً اذا قورن بجيوش الدول الكبيرة بلغ مجموعه نحو ٨٠٠ الف الجند النظامي منه ٢٥٤ الفاً والرديف ١٤٠ الفاً والرديف الخاص ٩٠ الفاً وجيش الاقاليم ٣١٦ الفاً والجملة ٨٠٠ الف ٣٥٢ الفاً منها في الهند والباقي في بلاد الانكليز والمستعمرات . والمرجح ان الجيش النظامي او العادل سيزاد في زمن هذه الحرب وبعدها الى ٥٠٠ الف او ٦٠٠ الف

وهو على قلته كثير النفقات جداً لان الجنود لا يؤخذون بالقرعة الاجبارية بل يستأجرون للخدمة استئجاراً لكأن الجندية عمل من الاعمال التي يعطاها الانسان لاجل المعيشة . يقول الرجل الانكليزي ان مثل غيري من ابناء وطني فلا يطلب مني ان ادافع عن التاجر عفواً كما لا يطلب من التاجر ان يقدم لي ثيابي وثياب اولادي وطعامي وطعام اولادي عفواً بلا ثمن . ومن رأي كبار القواد الانكليز مثل المرشال لورد روبرتس ان الانتظام في الجيش يجب ان يكون كالانتظام في خدمة الحكومة فيجب الجندي مستخدماً براتب كاف لمعيشته ومعيشة عياله ويعطى معاش لتقاعد مثل غيره من مستخدمي الحكومة

وما ينقص الانكليز من القوة البرية يستعاض بالقوة البحرية فان عدد سفنهم الحربية التي كانت قائمة في آخر سنة ١٩١٣ والتي كان ينتظر ان تتم في آخر سنة ١٩١٤ وفي آخر سنة ١٩١٥ مذكور في الجدول التالي

نوع السفينة الحربية	١٩١٣	١٩١٤	١٩١٥
بوارج من نوع سبر دردنوط	١١	١٦	٢١
« « الدردنوط	١٥	١٥	١٥
« سابقة للدردنوط	٤٠	٤٠	٤٠
طرادات مدرعة	٥٠	٥٠	٥٠
« خفيفة	٦٥	٧٦	٨٤
سفن ترييد	١٨	١٨	١٨
سفن اخرى من نوعها	٠٧	٢٣	٢٣
نسافات	٢٢٨	٢٤٨	٢٦٢
سفن ترييد قديمة	١٠٠	١٠٠	—
غواصات	٧٧	٨٥	—

والبوارج من نوع السبر دردنوط تمتاز على الدردنوط بكبر مدافعها فالمدفع الكبير في الدردنوط قطر فوهته ١٣ بوصة واما في السبر دردنوط فقطر فوهته ١٥ بوصة فاكثر

وعند الانكليز الآن ٦ بارجة من هذه الفئة ركبت حديثة واليك بيانها

الاسم	التفريغ	عدد المدافع	قطرها	قوة آلاتها البخارية	سرعتها
دريدنوت	٢٢٥٠٠ طن	١٠	١٣ بوصة	٢٧٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً بحرياً
تندرر	»	»	»	»	»
موناركه	»	»	»	»	»
كنكور	»	»	»	»	»
ليون	٢٦٣٥٠	٨	»	٧٠٠٠٠ »	٣٠ »
برنس رويال	»	»	»	»	»
كنج جورج	٢٤٨٠٠	١٠	»	٣١٠٠٠ »	٢١ »
سنتور يون	»	»	»	»	»
اجاكس	»	»	»	»	»
اودامنيوس	»	»	»	»	»
كوين ماري	٢٨٨٥٠	٨	»	٧٨٠٠٠ »	٢٨ »
بنبو	٢٥٠٠٠	١٠	»	٣٠٠٠٠ »	٢١ »
امبراطور الهند	»	»	»	»	»
ايرن ديوك	»	»	»	»	»
مارلبرو	»	»	»	»	»
تيجر	٣٩٠٠٠	٨	»	٧٨٠٠٠ »	٢٨ »

البوارج التي من نوع الدردنوط

الاسم	التفريغ	المدافع الكبيرة	قطرها	قوة آلاتها البخارية	سرعتها
دردنوط	١٧٠٠٠	١٠	١٢ بوصة	٢٣٠٠٠ حصان	٢٠ ميلاً بحرياً
انفنسبل	١٧٢٥٠	٨	»	٤٣٠٠٠ »	٢٢ »
انفنسيبل	»	»	»	»	»
انفلكسبل	»	»	»	»	»
بلنوفن	١٨٦٠٠	١٠	»	٢٣٠٠٠ »	٢١ »
تمور	»	»	»	»	»
سبرب	»	»	»	»	»

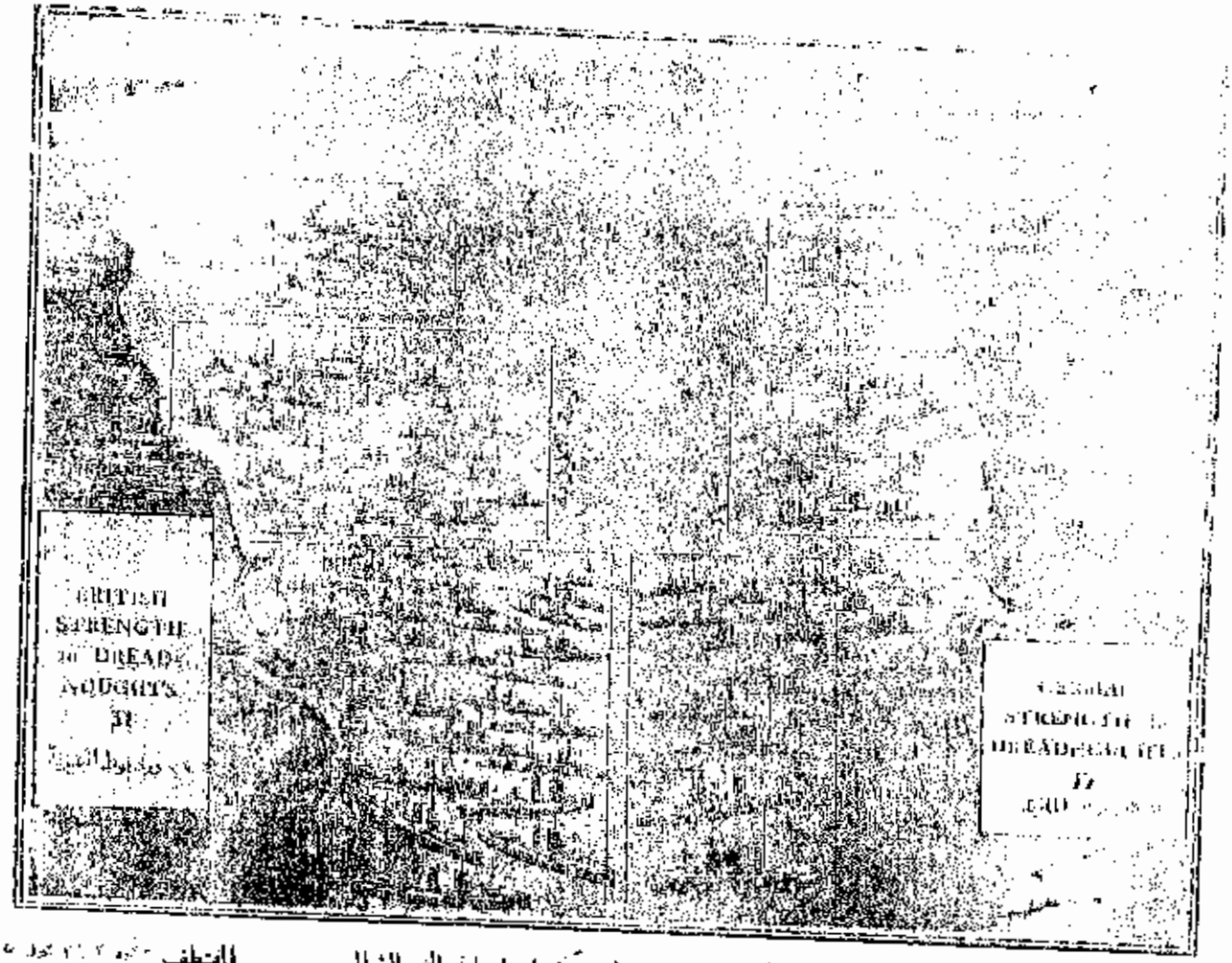

صورة تمثيلية تمثل البوارج الانكليزية والالمانية التي يمكن اجتماعها في البحر الشمالي

الاسم	التفريغ	المدافع الكبيرة	قطرها	قوة آلاتها البخارية	سرعتها
سنت ڤنسنت	١٩٢٥٠	٠	١٣ بوصة	٢٤٥٠٠ حصان	٢٢ ميلاً بحرياً
كولنجود	٠	٠	٠	٠	٠
ڤان غارد	٠	٠	٠	٠	٠
نبتون	١٩٩٠٠	٠	٠	٢٥٠٠٠	٢١
اندفاتيغابل	١٨٧٥٠	٨	٠	٤٣٠٠٠	٢٧
هرڤل	٢٠٠٠	١٠	٠	٢٥٠٠٠	٢١
كولوسس	٠	٠	٠	٠	٠
نيوزيلند	١٨٨٠٠	٨	٠	٤٤٠٠٠	٢٧

والسابقة للدردنوط اربعون كما تقدم تختلف سرعتها من ١٦ ميلاً بحرياً الى عشرين ميلاً وسرعة اكثرها بين ١٨ ميلاً وعشرين. ومدافعها الكبيرة من عيار ٣ بوصة وهي اربعة في كل بارجة والصغيرة ١٢ مدفعاً في كل بارجة اكثرها من عيار ٦ بوصات وبعضها من عيار ٩ بوصات او عشر بوصات وقد بنيت كلها بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٥ والدردنوط بنيت بعدها. والطرادات كثيرة كما تقدم وبعضها سريع تبلغ سرعته ٢٥ ميلاً او اكثر الى ٣٠ ميلاً

واذا قيست قوة انكلترا البحرية بقوة غيرها من الدول زادت على قوة اقرب دولتين اليها فتزيد مثلاً على قوة المانيا وفرنسا معاً او على قوة المانيا واميركا ويظهر لنا انهُ يمكن ترتيب الدول البحرية الآن على هذه النسبة التقريبية

انكلترا	١٠٠
المانيا	٠٥٥
اميركا	٠٤٠
فرنسا	٠٣٧
اليابان	٢٠
روسيا	٠٢٠
ايطاليا	٠١٧
النمسا	٠١٥

ويبقى فرق كبير بين هذه الدول في مهارة بحارتها وضباطهم وفي توزيع اساطيلها وسهولة وضع الفحم فيها ونحو ذلك من الامور الفنية

بلجكا

سيكون لهذه المملكة الصغيرة شأن في تاريخ اوربا لانها اخرت زحف الجيش الالماني عن فرنسا الى ان عبأت فرنسا ما تستطيع تعبئتهُ من جيوشها ولولا ذلك لرأينا الالمان في باريس ولتغيرت نتيجة هذه الحرب

وبلاد البلجيك صغيرة المساحة ولكنها كثيرة السكان بالنسبة الى مساحتها فانها ١١٣٧٣ ميلاً مربعاً فقط ولكن عدد سكانها كان منذ اربع سنوات اكثر من سبعة ملايين ونصف مليون فيخص الميل الواحد منها نحو ٥٨٩ نفساً والسكان في بعض ولاياتها اكثر ازدحاماً من ذلك كما ترى في هذا الجدول

اسم الولاية	مساحتها	عدد سكانها	في الميل المربع
انفرس	١٠٩٣	٩٨٩ ٣٤٠	٧٤٩
برابانت	١٢٦٨	١ ٠٠٥ ٢١٤	٩٩٥
الفلندر الغربية	١٢٤٩	٨٨١ ٠٣٣	٦٤٤
« الشرقية	١١٥٨	١ ١٢٣ ٧٥٥	٨٩١
هينو	١٤٣٧	١ ١٤٠ ٥٢٥	٧٩٥
ليج	١١١٧	٨٩٩ ٤٣٣	٧٣٤
لبورج	٩٣١	٢٢٧ ٥٣٢	٢٥٨
لكسمبرج	١٧٠٦	٢٣٤ ٢٥٢	١٢٨
نامور	١٤١٤	٣٦٥ ٦٠٦	٢٤٥
الجملة	١١٣٧٣	٧ ٥١٦ ٧٣٠	٥٨٩

فهي اكثر ازدحاماً بالسكان من كل ممالك اوربا وسكانها يزيدون زيادة كبيرة فقد كان عددهم ٦٦٩٣٥٤٨ سنة ١٩٠٠ فزادوا في عشر سنوات ٨٢٣ ١٨٢ نفساً اي ان الزيادة السنوية اكثر من ٨٢ الفاً او نحو واحد وربع في المئة في السنة وهي ناتجة من كثرة زيادة المواليد على الوفيات

كانت بلاد البلجيك قديماً جزءاً من الامبراطورية الرومانية ثم لما انحلت تلك

الامبراطورية صارت البلجيك من املاك الفرنك اي الفرنسويين وانضمت الى امارات عديدة في زمن الحكم الاقطاعي واستولى عليها ملوك برغندي من سنة ١٣٨٥ الى ان دالت دولتهم بالملك كارلس الجسور سنة ١٤٧٧ فانتقلت هي وهولندا بواسطة ابنته الى بيت هبسبرج ملوك اسبانيا الى ان عقد صلح اترخت سنة ١٧١٣ فانتقلت هي وحدها الى النمسا . ثم ضمت الى فرنسا في زمن بونابرت واعيدت الى هولندا بعد سقوطه وذلك في ٣١ مايو سنة ١٨١٥ وكانت حينئذٍ ميدان الحروب الاوربية وفيها جرت موقعة ووترلو الشهيرة (على ١١ ميلاً من مدينة بروكسل) في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ اي منذ تسع وتسعين وسنة فهل يحتمل ان تقع فيها المعركة الفاصلة الآن كما وقعت فيها معركة ووترلو حينئذٍ

ولكن اتحاد بلجكا مع هولندا لم يدم لاختلاف سكان البلادين في المذهب والطباع لاسيما وان اهالي هولندا كانوا مستأثرين بكل المناصب العالية في الحكومة . فلما حدثت الثورة الثانية في فرنسا سنة ١٨٣٠ اقتدت البلجيك بها وثارت طالبة الانفصال عن هولندا وحاولت حكومة هولندا قمع الثورة بالقوة فلم تفلح وجاء البرنس فردرك ابن ملكها بجيش جرار واحتل بروكسل فحاربه السكان واضطروه الى الخروج منها والالتجاء الى انفرس . وفي الرابع من اكتوبر تلك السنة اعلنت البلجيك انها استقلت عن هولندا وانشأت حكومة موقتة . واسرع الاسطول الهولندي ورمى انفرس بالمدافع فزاد غيظ البلجيكيين حتى صار عودهم الى هولندا ضرباً من المحال . واجتمع حينئذٍ مؤتمر في لندن حضره نواب فرنسا والنمسا وبروسيا وروسيا والكلترا فرأى بعد مداولات طويلة ان انفصال البلجيك عن هولندا صار امراً مقضيًّا لامرد له . وفي السنة التالية اختير البرنس ليوبولد الساكسوني ملكاً عليها فدخل بروكسل في ٢١ يوليو سنة ١٨٣١ واقترن بابنة لويس فيليب ملك فرنسا فاشتد به ازره . ولم تقبل هولندا بما اقرّ عليه مؤتمر لندن فشهرت الحرب على بلجكا لكن فرنسا وانكلترا انتصرتا لها فقهرت هولندا . وطلبت هولندا ان تحمل بلجكا نصيبها من الدين الوطني وبعد تقلبات كثيرة اعترفت هولندا باستقلال البلجيك وتحملت البلجيك خمسة ملايين فلورين او نحو عشرة ملايين فرنك في السنة ربما خصها من دين هولندا

والبلجيك من اغنى بلدان اوربا في الزراعة والصناعة والمعادن يزرع فيها القمح والشعير والشوفان والقطاني على انواعها والقنب والكتان والتبغ وحشيشة الدينار وبنجر السكر والكرم وانواع الفاكهة فتبلغ مساحة بساتين الفاكهة فيها ٣٠٠٠٠ فدان . وحكومتها تنفق

عن اربع مدارس زراعية وتسعة حقول للتجارب الزراعية . وهي مشهورة بخيلها وفيها نحو ٢٦٠ الفاً من الخيل ونحو مليونين من البقر

ويتلو غناها الزراعي غناها المعدني ففيها النحاس والرصاص والزنك والشب والرخام والمرمر والحديد والفحم الحجري . واهم معادنها الحديد والفحم الحجري فهي تعلو انكلترا فيها فان فيها ٢٠١٩ منجماً من مناجم الفحم يستخرج منها في السنة ٢٣ مليون طن ويستخرج من مناجم الحديد ١٦٠٠٠٠٠ طن وفيها اكثر من خمس مئة معمل للآلات الحديدية تصنع في السنة ما ثمنهُ سبعة ملايين من الجنيهات

وفيها معامل لنسج الكتان والصوف والقطن والحرير والخرج ولدبغ الجلود وعمل المصنوعات الجلدية وفيها مسابك كبيرة للمدافع في لياج وانفرس ومعامل لياج من اشهر المعامل لعمل الاسلحة . والمعامل المعدنية منتشرة في كل مدنها وتبلغ قيمة صادراتها ووارداتها في السنة نحو خمس مئة مليون جنيه او نحو عشرة اضعاف تجارة القطر المصري . وميزانية حكومتها في السنة ٢٨ مليون جنيه وعليها دين يبلغ ١٤٧ مليون جنيه انفق كلهُ او اكثرهُ لاجل المنافع العمومية ربحهُ السنوي نحو خمسة ملايين من الجنيهات يوفى من دخل سكك الحديد

اعظم حصونها في انفرس وهي من احصن حصون الدنيا ويقال انها تكفي لتحصين الجيش البلجيكي كلهِ . ومن حصونها المنيعة ايضاً حصون لياج ونموي ونامور لكن مدافع الالمان الكبيرة قويت عليها وخربتها وجيشها في زمن السلم نحو خمسين الفاً وفي زمن الحرب ٨٠ الفاً ثمانون الفاً منها لحفظ الحصون ومئة الف لمنازلة العدو وتستطيع ايضاً ان تستخدم الحرس المدني وعددهُ نحو ٤٧ الفاً فيزيد جيشها وقت الحرب على مئتي الف

هذه خلاصة حال البلجيك في الماضي والحاضر الى حين اجتياحها الالمان في هجومهم على فرنسا اما حالها في المستقبل فتتوقف على كيف تنتهي هذه الحرب فان انتهت بفوز المانيا فالغالب انها تضمها اليها ثم تضم هولندا وتتوالى الثورات الداخلية الى ان تزهق النفوس وتتداعى صروح العمران . وان انتهت بفوز فرنسا وانكلترا وروسيا حفظ لها استقلالها وقد يضاف اليها بعض البلاد المجاورة او تتعدل حدودها تعديلاً يزيدها بسطةً وعمراناً

وقد اظهر البلجيكيون من البسالة في الدفاع عن ذمارهم ما سيبقى ذكرهُ مسطوراً في تاريخ الدهور مقروناً بالمدح والاعجاب

الحرية الشخصية وارتقاء الدولة[1]

لقد خبط الناس في فهم معنى الحرية فذهبوا الى انها تقتضي التمكن من اي عمل يدور في خلد طالبه. وهذا الوهم يرجع سببهُ الى مغالاة الحاكمين في التحكم بافراد الرعية وتطرف المستبدين في استعمال سلطتهم الشرعية لمحض منافعهم الشخصية متغاضين عن مصلحة غيرهم فحملت تلك الردّة ونجم عن الغلو في استبداد الحاكم غلوّ من جهة المحكوم في طلب الحرية فافضى بهِ الغلو الى اخراج الحرية عن معناها الاصلي الطبيعي. وذهب جميع هؤلاء المغالين الى ان الحاكمية لا تجتمع مع الحرية فقالوا ان الحاكمية تقتضي وجود حاكم اعلى في كل دولة تطيعهُ افراد الرعية فيسن لهم القوانين ويأمرهم باتباعها ويقتص منهم اذا اخلوا بنص من نصوصها وان سلطة هذا الحاكم الاعلى سلطة لاحد لها من الوجهة الشرعية وان المحكوم لا يمكنهُ ان يقف في وجه الحاكم فيسوقهُ الحاكم الى الحرب ويجبي منهُ الضريبة اثر الضريبة فكيف اذن توجد الحرية بوجود هذه الحالة السياسية

اعترض اصحاب هذه الحرية الخيالية على وجود الحاكمية في الدولة لان وجودها يمنع افراد الرعية من التمتع بهذه الحرية المطلقة فهم يطلبون ان يكون لكلٍّ الحرية التامة في اجراء ما يريدهُ ولا يجوز لاحد ان يعارضهُ في الحصول على رغائبهِ — وهذه الحرية التي ينشدونها تشبهُ الحرية التي يدعو اليها دعاة الفوضى اي الذين ينكرون وجود السلطة الحاكمة القاهرة وتشبهُ ايضاً الحرية التي قال بها اصحاب مذهب «العقد الاجتماعي» . قال اصحاب هذا الرأي ان الناس كانوا قبلما وجدت الحكومات والدول متمتعين بالحرية المطلقة ثم تنازلوا لحاكم الاعلى عن بعض حريتهم في نظير محافظتهِ على حقوقهم ومنع الغير من الاعتداء عليهم. والذي دعا الى انتشار هذا الرأي هو مغالاة حكام القرنين السابع عشر والثامن عشر في الاستئثار بالسلطة والاستبداد بالرعية فقام العلماء في وجوههم وذهبوا الى ان قوة الحاكم مستمدة من الشعب على حد الرأي السابق

والذي يظهر من البحث ان الحرية الخيالية يستحيل وجودها او تصورها الا لشخص

---

(١) استعملت في كتابة هذه المقالة بكتاب مبادئ العلم السياسي تأليف الاستاذ بكوت مدرس العلوم السياسية في مدرسة جن بولاية مونتريال في اميركا

يفترض انهُ ذو قوة مطلقة يستطيع ان ينال بها كل ما يطلبهُ اما اصحاب هذا الرأي فيقولون ان الحرية تكسب كل شخص حقًّا مطلقًا في نيل كل ما تتوق نفسهُ اليهِ . فكيف يمكن تصور هذه الحرية اذا اتحد المطلوب وتعدد الطلاب فقد يوجد شيء محبوب يتوق اليهِ عدد كبير من الناس في وقت واحد فاذا رام كل منهم نيلهُ لا يتسنى ذلك لجميعهم فينتهي بهم الامر الى الخصومة وينالهُ في آخر الامر اقواهم

وغاية ما يمكن لكل فرد ان ينالهُ من الحرية في افعالهِ بوجه الحق هو ان يكون حرًّا مطلقًا في جميع الافعال التي لا تمس حرية غيرهِ . وليس في هذه الحرية مخالفة لحرية الغير وقد عرفها الثوريون الفرنسيون في منشورهم الذي اصدروهُ عام ١٨٧٩ كما يأتي « الحرية هي القوة التي تمكن صاحبها من مباشرة اي فعل لا يضر الغير » وعرفها سبنسر بقولهِ ان « كل امرئ حرّ ان يباشر اي فعل يريد مباشرتهُ على شرط ان لا يتعدى بذلك على حرية اي امرئ آخر » . هذه الحرية الشرعية لا تنافي الحاكمية بل لا يمكن تصورها او وجودها الاَّ مع الحاكمية ولا توجد الاَّ اذا ايَّدها الحاكم الاعلى فانها ما دامت تخول صاحبها التمتع بحقوق معروفة معينة بشرط ان لا ينافي تمتعهُ بها حقوق غيرهِ فلا بد من وجود سلطة عالية تحدد حقوق كل شخص وتتولى المحافظة على بقاء تلك الحدود فتمنع كل احد من التعرض لحقوق غيرهِ في اثناء تمتعهِ بحقوقهِ وبذلك توجد الحرية الشرعية بين الافراد بفعل الحكومة او بفعل الوازع . وقد اطلقوا على هذا النوع من الحرية اسم « الحرية المدنية »

ينتج من هذا ان من اهم وظائف الحكومة ضمان الحرية الشخصية ومنع الافراد من التعرض لحرية غيرهم على انهُ لا يلزمها قصر سلطتها على ذلك المنع

وقد ذهب كثير من الكتاب الى ان وظيفة الحكومة يجب ان تكون مقصورة على ذلك وانهُ لا يجوز لها ان تتعرض لحرية الفرد بل تقصر عملها على منع تعرض الواحد لحرية غيرهِ وهم يخطئون الحكومة مثلاً في اكراهها الفرد على تعليم ابنائهِ وزرع ارضهِ بطريقة مخصوصة تعينها لهُ ووضع قواعد تحتم اتباعها على اصحاب المعامل في استخدامهم العمال والزامهم اياهم بمكافأة العامل الذي يفقد عضواً من اعضائهِ في اثناء العمل . وقد قالوا ان الحكومة يجب ان تصرف همها الى المحافظة على حرية الفرد وتعمل كل ما يلزم لذلك . فهم يبررون وجود الجيش واقامة الحصون وبناء الاساطيل لمنع تعرض الاجنبي لحرية الوطني ويبررون ايضاً وجود البوليس والمحاكم الجنائية والمدنية على انواعها . ومنهم من يجوز فيبرر الحكومة في اي

عمل تعمله وان كان فيه اخلال بمبدإ الحرية اذا كانت ترى في عملها نفعاً للفرد او للشعب

وعند الكتّاب السياسيين نوع من الحرية غير الحرية الخيالية والحرية المدنية وهو الحرية الوطنية اي استقلال الامة فاذا قيل مثلاً ان اليونان نالوا حريتهم الوطنية في حرب ١٨٢١ فالمقصود انهم اصبحوا من ذلك الحين دولة مستقلة تحكم نفسها بنفسها وبناء عليه يقال ان الشعب اليوناني فقد حريته لانهُ فقد استقلاله . ونوع آخر وهو « الحرية الدستورية » اي ان يحكم الشعب حكومة ينتخبها الشعب وتكون مسؤولة لديه كما في الحالة في الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا

ويجدر بنا في هذا المقام ان نذكر الفرق بين الدولة والحكومة فالدولة هي مجموع من الناس يقطنون بقعة معينة من الارض تحكمهم الاكثرية منهم او يحكمهم شخص واحد او عدد من الاشخاص وتكون ارادة هؤلاء متغلبة على سائر المجموع بما يملكونهُ من القوة الحاكمة . فقوام الدولة اذن امران هما الامر والطاعة بحيث يوجد قوة تأمر وقوم يطيع توجد الدولة . اما الحكومة فهي كناية عن الشخص او الاشخاص الذين ولُّوا القوة الحاكمة . وبناء على ما تقدم فكل فرد من الشعب يعتبر عضواً من الدولة ولا يعتبر عضواً من الحكومة

ثبت مما تقدم ان الحكومة هي المسؤولة عن المحافظة على الحرية المدنية بما تسنهُ من الشرائع فاذا كانت الحكومة شخصاً مستبداً ظالماً فقد يعبث بحرية الافراد وحقوقهم على حسب هواهُ . اما الحكومات الدستورية فيختلف فيها ضمان الحرية الشخصية باختلاف نوع الدستور الذي يعين نوع الحكومة ويوزّع اعمالها على هيئاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية . واحسن البلاد ضماناً للحرية الشخصية هي البلاد التي يكون فيها تعديل الدستور صعباً لان ضمان الحرية الشخصية من مقتضيات الدستور فاذا كان تعديلهُ سهلاً سهل العبث بحقوق الافراد . واصعب الدساتير تعديلاً دستور الولايات المتحدة اذ يجب ان يطلب التعديل ثلثا الولايات او ثلثا مجلس النواب لجواز النظر فيه . اما في بلاد الانكليز مثلاً فللبرلمان ان يعدّل الدستور في اي اجتماع من اجتماعاته القانونية

فبناء على ذلك يكون نظام الحكومة في اميركا ابعث على ضمان الحرية الشخصية وسائر مبادئ الدستور من نظام سائر الحكومات . وقد انتشرت الحرية في تلك البلاد انتشاراً عظيماً لا تضارعها فيه بلاد اخرى من بلاد الله

ولا بد من معرفة العلاقة بين الفرد والدولة او الهيئة العمومية معرفة السيطرة التي

يسوغ لحكومة ان تباشرها مع افراد الامة — فقد ذهب القائلون « بالعقد الاجتماعي » ان الفرد يشغل في الهيئة العمومية مركزاً مستقلاً وان جميع الافراد تعاقدوا على تسليم امرهم الى الحاكم مقابل محافظته على حريتهم بمنع تعدي الفرد على اخيه وبذلك تكون سيطرة الحكومة مقصورة على هذا العمل اي منع التعدي · وهذا المذهب كان لهُ شأن عند علماء القرن الثامن عشر ولكن بطل القول به بعد ذلك · وذهب بعض الكتاب السياسيين الى ان العلاقة بين الفرد والدولة علاقة طبيعية متينة وشبهوها بعلاقة اعضاء الجسم بالجسم فكما انهُ لا يمكن وجود اليد منفصلة عن الجسم فكذلك لا يمكن ان يعيش الفرد منفصلاً عن الدولة وان الدولة وان تكن قد ترقى نظامها مع مرور الزمان فقد وجدت منذ وجود الانسان بصورة احط من صورتها الحاضرة · فقد اعتبروا القبيلة والعشيرة دولة في اول نشوئها لان قوام الدولة وهو الامر والطاعة وجد في القبيلة فكانت الحاكمية محصورة في زعيم يأمر ويطاع وقالوا ان الدولة والفرد شيء واحد لا يمكن فصلهما مطلقاً وسموا هذا المذهب مذهب الدولة العضوي · وعلى مقتضى هذا المذهب تنمو الدولة نمواً متواصلاً كما ينمو الجسم الحي وهذا النمو المتواصل يؤدي الى ترقي النظام الاجتماعي · والذي ارادهُ اصحاب هذا القول هو مجرد التمثيل بين الدولة والحي لا ان الدولة تشبهُ الحي من جميع الوجوه لان الجسم الحي ينمو نمواً اضطرارياً والدولة تنمو نمواً اختيارياً اي ان لإرادة الافراد تأثيراً في ترقية الدولة فتنمو بمحض ارادة الافراد المكونة منهم · واما النبات والحيوان فينموان نمواً كرهياً طبيعياً ولا يد لهما فيهِ ومهما يكن من امر هذا المذهب فانهُ اعان على اضعاف مذهب العقد الاجتماعي الذي يجعل الفرد مستقلاً عن الدولة ويحصر سلطة الحكومة ويحددها فيمنع نمو الدولة وزيادة قوتها وصوّر الدولة والافراد جسماً حياً متضامناً مرتبطاً بعمل النفع العام · وهذا التمثيل وان كان ناقصاً من بعض الوجوه كما تقدم فانهُ تمثيل مفيد يدل على ان الفرد قد تحتم عليهِ المصلحة العامة تحمل الخسارة الشخصية كما ان اليد قد تفنى في سبيل المدافعة عن الرأس او عن القلب · واذا اعتقد الافراد بهذا المذهب سهل عليهم طاعة القوانين التي يسنها الحاكم الاعلى ويظهر انها منافية لحرية الفرد لانهم يرون عند ذلك ان القانون انما يعمل للعموم لا للفرد وان المصلحة الخاصة يجب ان يتغاضى عنها اذا اعترضت المصلحة العامة · واما اذا تقوى مذهب الاستقلال الفردي في النفوس فيؤدي الى عدم احترام السلطة وفقدان الوطنية ووقوف الدولة المؤلفة من الافراد عن النمو · ثم اذا ضعفت الدولة ضعف الفرد وهذا حال الدول الضعيفة لا هي سعيدة

ولا الفرد فيها سعيد وان الاحوال المشاهدة تميل بنا كل الميل الى قبول المذهب العضوي وجهٍ في نفوس اهل الوطن — كل هذا يدل على ان الجهل في حب الذات يؤدي الى ضرر عظيم وما اشد سريان هذا الجهل في الشرق الذي نسي اهلهُ انفسهم وتكالبوا على حبها فذهب تكالبهم ادراج الرياح وضرب عليهم وعلى دولهم المذلة والمسكنة الى ان يتغيروا عن هذه الحالة المشؤومة

ومن المحال وجود جمعية في الدنيا يكون اساسها مذهب الاستقلال الفردي وكل جمعية تشاء النجاح في نيل غرضها ينبغي لاعضائها ان يندغموا فيها وينسوا اشخاصهم النسيان الذي تقتضيه اغراض الجمعية فاذا عرض احدهم مطلباً وجب ان يؤيدهُ بالغاية العامة التي تنجم عنهُ ويتجرد من الهوى النفسي كل التجرد . بهذه الطريقة تنجح الجمعيات سواء كانت سياسية او اجتماعية ولا تقوم قائمة لجمعية بشرية اذا جعلت الانانية اساساً لها لانهُ يستحيل ان تتفق مطالب الافراد الشخصية ولذلك نرى البلاد التي فشا فيها مذهب الاستقلال الفردي بسبب عدم الثقة بالحكومات لا ينجح فيها عمل مشترك . فكم من جمعية نشأت والتحمس منبث في صدور اعضائها في اول الامر ثم ما عتمت ان تضاربت اراؤهم وتصادمت مصالحهم ولا مصلحة عامة تجمعهم فانحلت جمعيتهم وذهبت مساعي افاضلهم هباءً منثوراً

نزل الشرق المسكين اكثر من كل بلد غيره في هذه الهواة فضاعت آثار الوطنية فيهِ وماتت المصالح العامة ويئس الناس من القيام باية حركة عمومية في دفع مغرم او جور منتظر . كل هذا ناجم عن تعاقب الظالمين الغاشمين على امره والسعي وراء منافعهم الخاصة وقتل الوطنية وابادة الوحدة فكلما قامت حركة عامة اخمدوا انفاسها واطفأوا نارها خوفاً على مصالحهم الذاتية فرسخ في اذهان الناس على تمادي الاجيال ان لا فائدة من اية وحدة عامة يقصد بها النفع العام وقد امسوا في حالة لا يفهمون معها معنى الفاظ الوطنية والقومية والمصلحة العامة الا بما يشاهدونهُ من آثارها في بلاد الغرب الراقية وحتى ان بعضهم نصفوا عن مقاومة دولهم المنحطة فترى بعض الدول الشرقية تستبد وتحكم برعاياها المستضعفين وهم مكتوفو الايدي يقبلون ظلمها صاغرين ولو اوتوا شيئاً من الروح الوطنية لامكنهم تقويض دعائم حكامهم ونهج حياة جديدة في هذه الدنيا تقلل من بؤسهم وتزيد من سعادتهم . ولعل امة اليابان تكون مثالاً لامم الشرق فينهجوا نهجها ويسيروا في ميدان الحياة بعد هذا الهجوع الطويل

خليل يعقوب الخوري

المآخذ الشعرية

(تابع ما قبله)

قال عبد الله بن سليمان لابي العباس: اعذرني فاني مشغول. فقال له ابو العباس:

ولا تعتذر بالشغل عنا فانما تنال بك الآمال ما اتصل الشغلُ

فاخذهُ ابو الحسن علي بن هرون الشيباني بقوله من ابيات:

لا تعتلل بالشغل انك انما ترجى لانك دائماً مشغولُ
واذا فرغت ولا فرغت فغيرك المقصود للحاجات والمأمولُ

وقال عبد الله بن المعتز العباسي:

وكأن السقاة بين الندامى ألفاتٌ بين السطور قيامُ

فاخذهُ رجاء بن الوليد الاصبهاني بقوله:

هذي المدام وهذه التحفُ والكأس بين الشرب تختلفُ
فكأنهم وكأن ساقيهم سين تُرى قدامها الفُ

وقال ابو عيينة:

ابوك لنا غيث نعيش بظلهِ وانت جرادٌ لست تُبقي ولا تذرُ

فقال ابو بكر الخوارزمي بمعناهُ:

أتحصد ايديكم ويزرع غيركم فانتم جرادٌ والملوك السحائبُ

وقال ابو سعيد الرستمي من قصيدة واخذ معناهُ من قول ابي تمام: «عوّذهُ الحاسد بخلاً به»:

يوسعهُ ان رآهُ حاسدهُ مدحاً وبثقي عليهِ جاذبهُ

وقال ابن المعتز العباسي:

وكأنَّ الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

فاخذهُ الصاحب بن عباد بقولهِ:

اقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى بلؤلؤٍ منثورِ
فكأن السماء صاهرت الارض فصار النثار من كافورِ

وقال بعض الشعراء :

غنّت فلم يبقَ فيّ جارحةٌ إلاّ تمنّت بانها أذنُ

فاخذهُ ابو سعيد الرستمي وزاد عليهِ بقولهِ :

غنى فجلّى الظلام غرّتهُ عنا وغصت بشدوهِ الأفقُ
فودّتِ العين انها اذنٌ تسمعُ والأذن انها حدقُ

وقال بعضهم :

ارانك دمعي اذ جرى فحملتني من الغمّ والبلوى على مركبٍ صعبِ
فلا تكرنّ تلك الدموع فانما بيضها تصعيدها من دم القلبِ

وتابعهُ ابو الحسن البديعي بقولهِ من قصيدة :

ولم أرَ لي يوم الرحيل مساعداً على الوجد حتى اقبل الدمع مسعدا
وكان دماً فابيضّ منهُ احمرارهُ بنار التصابي حين فاض مصعّدا

وقال ابو طاهر بن ابي الربيع من قصيدة :

والنبت ريّانٌ المهزّة مائلٌ شرق المحاجر زهرهُ بالماء
مسحت باجنحة الصبا اعرافهُ وجلت مداومها متون ضاء
فترى الظباء اذا وردنَ حياضها ككواكبٍ قابلنهنّ مرائي

وأخذهُ من قول ابن المعتز :

وترى الرياح اذا مسحن غديرهُ صفّيتهُ ونفين كلّ قذاةِ
ما ان يزال عليهِ ظبيٌ كارعٌ كتطلّع الحسناء في المرآةِ

وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة :

ما بال طعم العيش عند معاشرٍ حلوٌ وعند معاشرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الاغبياء فانهُ لا عيش الاّ عيش من لم يعلمِ

ومن احسن ما قيل في هذا المعنى قول ابن المعتز :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال ابو العلاء الاشبيلي :

ومهفهف شربت محاسن وجههِ ما بجّهُ في الكأس من ابريقهِ

فقعاها من مقلتيه ولونها من وجنتيه وطعمها من ريقه

فاخذه ابن حيّوس وقصّر عنه في قوله :

وبهيف يغني بلحظ جفونه عن كأسه الملأى وعن ابريقه
نعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقال ابو الصلت ايضاً في ثقيل وقد اجاد :

لي جليس عجبتُ كيف استطاعت هذه الارض والجبال ثقلهْ
أنا أرعاهُ مكرهاً وبقلبي منهُ ما يقلق الجبال اقلّهْ
فهو مثل المشيب اكرهُ مرآهُ ولكن أصونهُ واجلّهْ

فاخذه من قول ابي الحسن جعفر بن الحاج الميورقي وهما متعاصران :

لي صاحبٌ عميت عليَّ شؤونهُ حركاتهُ مجهولة وسكونهُ
يرتاب بالامر الجلي توهماً فاذا تيقّن نازعتهُ ظنونهُ
اني لأهواهُ على شرقي به كالشيب نكرهُ وانت تصونهُ

وقال مطرف الغرناطي :

وفي فروع الايك ورْقٌ اذا بلّ الندى اعطافها تسجعُ
او هزّها نفح نسيم الصبا شاقك منها غُرّدٌ شُرّعُ
كأنما ريشتها منبرٌ وهي خطيبٌ فوقهُ معقعُ
ان شبّها في طرف لوعةٌ جرى لها في طرف مدمعُ

فاخذه من قول عبد الوهاب بن علي المالقي الخطيب :

كأن فؤادي وطرفي معاً هما طرفا غصن أخضر
اذا اشتعل النار في جانبٍ جرى الماء في الجانب الآخر

وقال آخر بهذا المعنى :

القلب من فرقة الخلاّن يحترقُ والدمعُ كالدرّ في الخدّين يستبقُ
ان فاض ماء عيوني لم يكن عجبٌ العودُ يقطر ماء وهو يحترقُ

وقال بعضهم :

لا تحسبوا ان رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألمِ

وكتب ابو فراس الحمداني الى سيف الدولة بن حمدان من قصيدة :

اذا لم اجد من خلّة ما أُريدهُ فعندي لأُخرى عزمةٌ وركابُ
وليس فراقي ما استطعتُ فان يكن فراقٌ على حالٍ فليس إيابُ

وهو مأخوذ من قول اوس بن حجر :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليهِ بوجهٍ آخر الدهر تقبلُ

وقال الحمداني من هذه القصيدة ايضاً :

وافعالهُ للراغبين كريمةٌ واموالهُ للطالبين نهابُ
ولكن نبا منهُ بكفيَّ صارمٌ واظلم في عينيَّ منهُ شهابُ

وهو من قول البحتري :

سحابٌ عداني جودهُ وهو ريّقٌ وبحرٌ خطاني فيضهُ وهو مفعمُ
وبدرٌ أضاء الارض شرقاً ومغرباً وموضع رجلي منهُ اسود مظلمُ

وقال المتنبي :

تركتُ السرى خلفي لمن قلَّ مالهُ واتعلتُ افراسي بنعماك عسجدا
وقيدتُ نفسي في هواك محبّةً ومن وجد الاحسان قيداً تقيّدا

والمّ فيهِ بقول ابي تمام :

همي معلقة عليك رقابها مغلولة ان الوفاء إسارُ

وكرّر المتنبي هذا المعنى فزاد عليهِ حتى كاد يفسدهُ بقولهِ :

يا من يقتّل من اراد بسيفهِ اصبحتُ من قتلاك بالاحسانِ

وقال المتنبي :

وانا الذي اجتلب المنية طرفهُ فمن المطالب والقتيل القاتلُ

وهو من قول دعبل :

لا تطلب بظلامتي احداً طرفي وقلبي في دمي اشتركا

وقال المتنبي في السفر :

وانّ نهاري ليلة مدلهمةٌ على مقلة من فقدكم في غياهبِ

بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم اعالي كل هدب بحاجب

فقال ابن جني انهُ مثل قول بشار بن برد :

جفت عيني عن الغمض حتى كأن جفونها عنها قصارُ

وذكر القاضي انهُ مأخوذ من قول الطرمّاح في رطانته :

ورأسيَ مرفوع الى النجم انني فقاي الى صلبي بخيطٍ مخيَّطُ

وقال ابو القاسم الزاهي :

سقرنَ بدوراً وانتقبنَ اهلّةً ومسنَ غصوناً والتفتنَ جآذرا

واطلعنَ في الاجياد بالدرّ انجماً جعلنَ لحبّات القلوب ضرائرا

وقد اخذ البيت الاول من المتنبي القائل :

بدت قمراً ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وقال المتنبي :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ واقتل ما اعلّك ما شفاكا

فاخذهُ من قول حميد بن ثور : «وحسبك داءً ان تصحّ وتسلما» . وقيل من قول النبيّ : «كفى بالسلامة داءً»

وقال الزاهي :

احصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا املك الاحصاء

وهو من قول ديك الجنّ :

انا احصي فيك النجوم ولكن لذنوب الزمان لستُ بحصي

وقال المتنبي بمعناهُ :

اقلّب فيهِ اجفاني كأني اعدُّ بهِ على الدهر الذنوبا

وقال الوأواء الدمشقي من ابيات :

فقلت لم ودمع العين يجري على خدّي لهُ درٌّ نثيرُ

متى ارعى بروض الحسن منهُ وعيني قد تضمّنها غديرُ

وكأنهُ من قول ابن المعتز :

وان تك في خدّيك للحسن روضةٌ فان على خدّي غديراً من الدمعِ

وقال سعيد بن محمد بن العاص المرواني في الهلال :

والبدر في جوّ السماء قد انطوى طرفاهُ حتى عاد مثل الزورقِ
وتراهُ من تحت المحاق كأنما غرق الكثير وبعضهُ لم يغرقِ

وهو من قول بن المعتز ايضاً :

فانظر اليهِ كزورقٍ من فضةٍ قد اثقلتهُ حمولةٌ من عنبرِ

وقال شمس المعالي

وفي السماء نجوم ما لها عددٌ وليس يكسف الاّ الشمس والقمرُ

وهو من قول الطائي

ان الرياح اذا ما استعصفت قصفت عيدان نجدٍ فلم يعبأن بالرتمِ
بنات نعش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهر في الرقمِ

وقال ابو العتاهية

الحمد لله فهو ألمعني الحمد على الحمد والمزيد لديهِ
كم زمانٍ بكيت فيهِ فلما صرتُ في غيرهِ بكيتُ عليهِ

وهذا المعنى تداولهُ الشعراء فقال ابرهيم بن العباس

كذاك ايامنا لا شك نندبها اذا تقضّت ونحن اليوم نشكرها

وقال آخر

وما مرّ يوم ارتجي فيهِ راحةً فافقدهُ الاّ بكيتُ على امسِ

وقال ابو تمام الطائي

لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحسودِ
واذا اراد الله نشر فضيلةٍ طويت اتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار في ما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العودِ

اخذهُ البحتري فقال

ولن تستبين الدهر موضع نعمةٍ اذا أنت لم تدلل عليها بحاسدِ

وكأنهما اخذاه من قول معن بن زائدة :

اني حسدتُ فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوماً غير محسودِ
ما يحسد المرء الا من فضائله بالعلم والظرف او بالبأس والجودِ

وقال ابو حية النميري :

فالقت قناعاً دونهُ الشمس واتّقت باحسن موصولين كفٍّ ومعصمِ

واصلهُ مأخوذ من قول النابغة :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطهُ فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وانشد الثوري :

ترى الدرَّ منثوراً اذا ما تكلَّمت وكالدرِّ منظوماً اذا لم تكلَّمِ

وهو من قول البحتري :

فمن لؤلؤٍ تجفوهُ عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطهْ

وقال ابرهيم بن العبَّاس :

لفضل بن سهلٍ يد تقاصر عنها المثلْ
فباطنها للندى وظاهرها للقُبَلْ
وبسمتها للغنى وسطوتها للأجلْ

فاخذهُ ابن الرومي وقال لابرهيم بن المدبّر :

اصبحت بين صراعةٍ وتعمُّلٍ والمرء بينهما يموت هزيلا
فاسدد اليَّ يداً تعوَّد بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال ابو الفتح كشاجم الرملي في جواد :

ضحك الجبين على سواد اديمهِ وكذا الظلام تنيرُ فيهِ الأنجمُ
فكأنهُ بينات نعشٍ ملبَّبٌ وكأنما هو بالثريا ملجمُ

وهو من قول ابن المعتز :

ألا فاستباني والظلام مقوَّضٌ ونجم الدجى تحت المغارب يركضُ
كأن الثريا في اواخر ليلها تفتح نور او لجام مفضَّضُ

وقال ابن الرومي :

وقضيف من الرجال نحيفٌ راجح الوزن عند وزن الرجال
في أناس أوتوا حلوم العصافير فلم تغنهم جسوم البغال

أخذهُ من قول حسان بن ثابت الانصاري . وقال لهُ بنو الديان الحارثيون : قد كنا ونحن نطول باجسامنا على العرب حتى قلت :

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا ان الرجال ذوو قدٍّ وتذكيرِ
لا بأس بالقوم من طول ومن عظمٍ جسم البغال واحلام العصافيرِ

وقال الآخر ولم يخرج عن هذا المعنى :

ولا خير في كبر الجسوم وطولها اذا لم يزن طول الجسوم عقولُ

وقال زهير بن ابي سلمى المزني :

تراهُ اذا ما جئتهُ متهلّلاً كأنك تعطيهِ الذي أنت سائلهُ

فتناولهُ مروان بن ابي حفصة بقولهِ :

نفحت مكافئاً عن جود معنٍ لك فيما تجود بهِ مجالا
فجئت العطية يا ابن يحيى لنادبهِ ولم تردِ المطالا
فكافأ عن صدى معنٍ جوادٌ بأجود راحةٍ بذلت نوالا
بنى لك خالدٌ وابوك يحيى بناءً في المكارم لن ينالا
كأنَّ البرمكيَّ لكل مالٍ تجود بهِ يداهُ يفادُ مالا

وقال اعرابي :

لا والذي انا عبدٌ في عبادتهِ لولا شماتة اعداء ذوي إحنِ
ما سرّني أنَّ ابي في مباركها وأن امرأً قضاهُ الله لم يكنِ

فاخذهُ بعض المحدثين وقال :

لولا شماتة اعداء ذوي حسدٍ وأن أنالَ بنصفي من يرجّيني
لما خطيت الى الدنيا مطالبها ولا بذلتُ لها عرضي ولا ديني

عيسى اسكندر المعلوف

فوائد من اخبار القضاة

وصلنا في الجزء الماضي من اخبار القضاة ان هرون بن عبد الله الذي ولاهُ المأمون قضاء مصر سنة ٢٠٢ للهجرة . وقد نقل مؤلف كتاب القضاة ان هرون هذا جعل مجلسهُ في الشتاء في مقدم المسجد واستدبر القبلة واسند ظهرهُ بجدار المسجد ومنع المتصلين ان يقربوا منهُ وباعد كتّابهُ عنهُ وباعد الخصوم وكان اول من فعل ذلك . واتخذ مجلساً للصيف في صحن المسجد واسند ظهرهُ لحائط الغربي . وعليهِ فالمحكمة كانت في المسجد ولم يكن لها بناء خاص بها . وفي عهدهِ امر الخليفة المأمون بالمحنة اي بامتحان القضاة وغيرهم من العدول ورجال العلم ان القرآن مخلوق فكان هرون بن عبدالله اذا شهد عندهُ شاهدان سألهما عن القرآن فان اقرّا انهُ مخلوق قبلهما والاّ اوقف شهادتهما . وكانت هذه المحنة من سنة ثماني عشرة الى ان قام المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . اما هرون فلم يزل على القضاء الى سنة ست وعشرين ومائتين . وخلفهُ محمد بن ابي الليث الخوارزمي وكان قبل دخولهِ مصر ورّاقاً على باب الواقدي وكان فقيهاً بمذهب الكوفيين فكان من امرهِ لما ولي القضاء ان حاسب هرون بن عبد الله على ما كان في بيت المال وامر بحبسهِ وكشفهِ ومما نعلمهُ ايضاً ان سعيد بن زياد الملقب بابن القطاس كان من اهل الديانة والفضل وقد شهد عند طيعة بن عيسى وابرهيم بن الجراح وابن المنكدر وهرون وكانت لهُ حلقة في المسجد الاّ انهُ كان يتكلم مع جلسائهِ بسب ابن ابي الليث والدعاء عليهِ فاوقفهُ ابن ابي الليث واتى رجل من الازد فادعى رقبتهُ (اي انهُ عبد لهُ) واتى بالشهود يشهدون لهُ على ذلك فحبسهُ القاضي خمسة ايام ثم حكم بشهادتهم وامر بهِ فنودي عليهِ فبلغ ديناراً فاشتراهُ محمد بن ابي الليث واعتقهُ

ثم لما قام الخليفة المتوكل رُفع اليهِ امر ابن ابي الليث فبعث قوصرة [1] لينظر في امرهِ فكتب اليهِ قوصرة بما صحّ عندهُ من امرهِ فاتى كتاب المتوكل بحبسهِ واستصفاء اموالهِ فحبسهُ قوصرة هو وولدهُ واصحابهُ واعوانهُ واستصفيت اموالهم كلهم ثم ورد كتاب المتوكل بلعن ابن ابي الليث على المنبر فلعنهُ مكرم بن حاجب الامام على المنبر ولعنتهُ العامّة

وتلا ذلك الافراج عنهُ والايقاع بخصومهِ واستصفاء اموالهم ثم الايقاع بهِ ثانية وحلق رأسهِ ولحيتهِ وضربهُ بالسوط وحملهُ على حمار بلا كاف وتطوافهُ الفسطاط . ويظهر من ذلك ان القضاة كانوا يحلقون شعور رؤوسهم كما يحلقون لحاهم

---

(١) هو يعقوب بن ابرهيم الذي جعل والياً على بريد مصر

ومما ذكره المؤلف ايضاً ان زي اهل مصر وجمالـــ شيوخهم واهل الفقه والعدالة (الشهود) منهم كان لباس القلانس الطوال كانوا يبالغون فيها فامرهم القاضي ابن ابي الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا فجلس في مجلس حكمه في المسجد واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلانس فاقبل اثنان فضربا رؤسهم حتى القوا قلانسهم فتناولها الصبيان والرعاع يلعبون بها وفي ذلك يقول شاعرهم

واخفت ايام الطوالـــ واهلها ترموا بكل طويلة لم تقصر
ما زلت تأخذهم بطرح طوالهم والمشي نحوك بالرؤوس الحسر
حتى تركتهم يزون لباسها بعد الجمال خطية لم تقتر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ولقوا القضاة بمشية وتبختر
ما لي اراهم مطرقين كأنما دمغت رؤوسهم بحجى خير

وولي القضاء بعده الحارث بن مسكين قال محمد ابن ابي الحديد «انا وليت الحارث بن مسكين القضاء كنت عند المتوكل فذكر رجلاً يوليه قضاء مصر فقال اكتبوا الى عيسى بن طيعة فقلت الله الله يا امير المؤمنين في الناس ان عيسى بن طيعة مستهتر بالشطرنج قال فمن ترى قلت بها رجل يعرفه امير المؤمنين وهو الحارث بن مسكين فقال صدقت اكتبوا له» . فاتاه كتاب القضاء وهو بالاسكندرية فنفض الكتاب فلما قرأه امتنع من الولاية فجبره على قبولها اخوانه وقالوا نحن نقوم بين يديك . فقدم الفسطاط وجلس للحكم . وحمله اصحابه على كشف ابن ابي الليث والتقضي عليه بمثل ما تقضى به على هرون بن عبد الله من رفع حساب بيت المال وما كان فيه فكان ابن ابي الليث يوقف كل يوم بين يدي الحارث فيضرب عشرين سوطاً ليخرج مما وجب عليه من الاموال التي كانت تحت يده

وكان الحارث هذا مقعداً من رجليه فكان يحمل في محفة في المسجد الجامع وكان يركب حماراً متربعاً . وطلب اليه في لباس السواد فامتنع فقوته اصحابه سطوة السلطان به وقالوا يقال انك من موالي بني امية فاجابهم الى لباس كساء اسود من صوف . وامر باخراج اصحاب ابي حنيفة من المسجد واصحاب الشافعي وامر بنزع حصرهم ومنع عامة المؤذنين من الاذان ومنع قريشاً والانصار ان يدفع اليهم من ضعمة رمضان شيء وامر بعمارة المسجد الجامع وحفر خليج الاسكندرية ونهى عن تقييد المصايد فابيحت للناس ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه ومنع القرّاء الذين في مسجد محمود وغيره الذين يقرأون القرآن بالالحان وترك تلقي الولاة والسلام عليهم وامر بضرب عنق رجلين نصرانيين شهد عنده انهما ساحران

وحضر الحارث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى جنازة فاخذ يونس في كلام الزهاد والحكاية عن الصالحين فبكى بعض اهل المجلس وخاف الحارث بن مسكين بذلك فالتفت الى يونس برفق فقال لهُ انت تحسن هذا كلهُ وانت تصنع ما تصنع . فقال لهُ يونس انت قاضي وقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم من جُعِل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين

قيل شهد رجل عند الحارث بن مسكين فقال لهُ الحارث ما اسمك قال جبريل قال لهُ الحارث لقد ضاقت عليك اسماء بني آدم حتى سميت باسماء الملائكة فقال لهُ الرجل كما ضاقت عليك الاسماء حتى سميت باسم الشيطان فان اسمهُ حارث . وصُرف الحارث ابن مسكين عن القضاء سنة ٢٤٥ وليهُ سبع سنين واحد عشر شهراً . وخلفهُ بكار بن قتيبة من قبل المتوكل

وانتهى هنا ما كتبهُ المؤلف ابو عمر محمد بن يوسف الكندي فذيلهُ ابو الحسن احمد ابن عبد الرحمن بن برد ولكن شتان بين ما كتبهُ هو وما كتبهُ الكندي لانهُ ذكر سطوراً قليلة من اخبار كل قاضٍ ولم يذكر فيها شيئاً يستحق النقل او تستفاد منهُ فائدة ما

وقد الحقت بالكتاب فصول من كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر وكتاب النجوم الزاهرة بتلخيص اخبار قضاة مصر والقاهرة والكلام فيها كثير الفوائد والنكت ولكنهُ ليس مسنداً كالكلام في اخبار القضاة . ومما جاء فيها عن الحارث بن مسكين انهُ لما اتى المأمون مصر طلب وزيرهُ الفضلُ بن مروان الحارث بن مسكين ليوليهُ القضاء وسألهُ ما تقول في ابن اسباط وابن تميم فقال ظالمين غاشمين فقال ليس لهذا احضرناك فاضطرب اهل المسجد وقام الفضل ودخل على المأمون وقال لقد خشيت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث فارسل المأمون الى الحارث فحضر فاعاد عليهِ المسألة فقال ظالمين غاشمين فقال لهُ المأمون هل ظلماك في شيء قال لا قال فعاملتهما قال لا قال كيف شهدت عليهما فقال كما اشهد انك امير المؤمنين ولم ارك قط الا الساعة وكما اشهد انك غزوت ولم احضر غزوك . فقال اخرج من هذه البلاد فليست بلادك وبع قليلك وكثيرك فانك لا تبقى فيها ابداً وحبسهُ في قبة هرقمة في رأس الجبل في خيمة ثم انحدر المأمون واحدرهُ معهُ فلما فتح البلاد التي قصدها احضر الحارث فلما دخل عليهِ سألهُ عن المسألة بعينها فاعاد الجواب بعينهِ ثم قال لهُ ما تقول في خروجنا هذا فقال اخبرني عبد الرحمن بن القاسم بن مالك ان الرشيد كتب اليهِ يسألهُ عن قتال اهل دهلك فقال ان كان خروجهم من ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال . فأجابهُ المأمون بجواب قبيح سبهُ فيهِ وسبَّ مالكاً وقال للحارث ارحل عن مصر فقال يا امير المؤمنين الى الثغر قال لا الحق بمدينة السلام فرحل اليها واقام فيها من سنة ٢١٧ الى سنة ٢٣٢ وكان ذلك قبل ولي القضاء على ما تقدم

كيف تنجو البلاد من الضيق

السعة والنجاة من الضيق سبيلان وهما زيادة الدخل والاقتصاد في النفقة . وتقوم زيادة الدخل لاناس مثل سكان هذا القطر بان يزيدوا حاصلاتهم الزراعية ويجتهدوا حتى تقوم بما يحتاجون اليه من طعام وشراب وكساء وان يصدروا منها شيئاً كثيراً يبيعونه باغلى ما يمكن من الثمن . وذلك كله ليس من موضوعنا الآن لاننا قد بحثنا فيه مراراً وسنعود اليه كلما سنحت الفرص

ويقوم الاقتصاد في النفقات بالاكتفاء بما يلزم وعدم التبذير والاسراف في شيء ولاسيما اذا كان مما يجلب من الخارج . وقد يستغرب القارئ اذا قيل له ان ثمن ما يرد الى القطر المصري في السنة من اوربا وغيرها نحو ٢٧ مليون جنيه وان ما ثمنه اكثر من عشرين مليون جنيه منها مما يمكن الاقتصاد فيه كثيراً وقد يمكن الاستغناء عن اكثره كما ترى في هذا الجدول

ثمن منسوجات مختلفة من قطن وصوف وكتان وحرير	٧٠٠٠٠٠٠ جنيه
« طحين وقمح وذرة وقطاني وبطاطس	٤٠٠٠٠٠٠ «
« معادن ومصنوعات معدنية	٣٠٠٠٠٠٠ «
« لعب ومصابيح وبرانيط وآلات وادوات الخ	٢٠٠٠٠٠٠ «
« سكر وبن وشاي ومربيات	١٢٠٠٠٠٠ «
« خيل وغنم وبقر وسمك وزبدة وجبن الخ	١٠٠٠٠٠٠ «
« خمر وبيرا واشربة روحية ومياه معدنية	٠٩٠٠٠٠٠ «
« رخام وجير وجبس وسمنت وقرميد	٠٦٠٠٠٠٠ «
« صابون وطيوب مختلفة	٠٤٠٠٠٠٠ «
« جلود ومصنوعات جلدية	٠٣٨٠٠٠٠ «
« اصباغ مختلفة	٠٢٦٠٠٠٠ «
« اثاث خشب	٠٢٠٠٠٠٠ «
والجملة	٠٢٠٨٤٠٠٠٠ «

ويظهر لنا ان القطر يستطيع ان يستغني في السنة التالية عما ثمنه عشرة ملايين من الجنيهات كما ترى في الجدول التالي ولاسيما اذا اكثر من زرع الحبوب واقتصد في النفقات العادية

من ثمن المنسوجات على انواعها	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه
« الطحين والشعير والذرة والقطاني الخ	٣٠٠٠٠٠٠ «
« المعادن والمصنوعات المعدنية	١٥٠٠٠٠٠ «
« الخشب والمصابيح والبرابيط الخ	١٠٠٠٠٠٠ «
« السكر والبن والشاي والمربيات	٠٥٠٠٠٠٠ «
« الخيل والغنم والبقر والسمك الخ	٠٣٠٠٠٠٠ «
« الخمر والبيرا والاشربة الروحية الخ	٠٥٠٠٠٠٠ «
« الرخام والجير والسمنت	٠٣٠٠٠٠٠ «
« الصابون والطيوب	٠٢٠٠٠٠٠ «
« الجلود والمصنوعات الجلدية	٠١٠٠٠٠٠ «
« الاصباغ المختلفة	٠١٠٠٠٠٠ «
« الاثاث ونحوه	٠١٠٠٠٠٠ «
والجملة	١٠٠٠٠٠٠٠ «

فهذه عشرة ملايين من الجنيهات تتوفر للقطر في سنة واحدة من غير ان يضام اذا اكثر من زرع الحبوب حتى تكاد تكفيه وتغنيه عن غيره . ومن المحتمل ان من يقتصد في نفقاته ويرى ان الاقتصاد لم يضره بل نفعه يجري عليه في السنين التالية وحينئذٍ تكون المحنة التي اصابتنا هذه السنة نعمةً في ثياب نقمة

ولكن كيف يقوم الناس بهذا الاقتصاد هل يحملون عليه بوضع اللوائح ومن القوانين ؟ كلا فكل امرئٍ حرٌّ ان يأكل ما يشاء ويلبس ما يشاء لا تصل اليه قوانين الحكومة الوضعية من هذا القبيل ولكن للمعايش قوانين اخرى لا تسهل مخالفتها فالرجل الذي كان دخله يجمع له بركوب الدرجة الاولى في سكة الحديد يبقى يركبها الى ان يقل دخله فيركب الدرجة الثانية واذا قل ايضاً ركب الدرجة الثالثة . والمرأة التي كانت تشتري فساتينها بعشرين جنيهاً تكتفي اذا اضطرت بفساتين ثمنها عشرة جنيهات او خمسة او جنيه واحد او اقل . وبين ما ينفقه الغني في سنته وما ينفقه الفقير الذي يماثله صحةً وراحةً بون شاسع جداً ودرجات كثيرة . الفقير يكتفي في مأكله ومشربه وملبسه بخمسة جنيهات او ستة في السنة والغني لا يكتفي بخمسة آلاف او ستة آلاف من الجنيهات . وبينهما الوف من الدرجات يسهل التدرج فيها وقد تجد بين اصحابها كلها اناساً متساوين في الراحة

والتعب والقوة والضعف . وما ركفاز بملايينه الكثيرة باوفر راحة او اجود صحة من راعي الضأن الذي يمشي حافياً و يأكل خبزهُ قفاراً

فالحاجة هي التي تجبر الناس على تقليل نفقاتهم . ولا بدَّ من ان ينتبه التجار لذلك و يقللوا ما يجلبونهُ من البضائع وسيضطرهم الضيق المالي لذلك لان معامل اوربا لا ترسل اليهم البضائع في هذه الحال ما لم يدفعوا ثمنها نقداً لاسيما وان معامل المانيا التي كانت كثيرة التساهل مع التجار لا تستطيع ارسال شيء من بضائعها الى القطر المصري في زمن الحرب ولذلك فالمعاملة بالنقد ستضطر التجار الى تقليل البضائع والمشترين الى تقليل ما يشترونهُ منها ولو كانت المعاملات التجارية كلها نقداً لجاءتنا هذه الازمة وعند اكثر السكان من المال ما يكفيهم السنة والسنتين

بلغ ثمن كل ما ورد الى القطر المصري في العام الماضي نحو ٢٨ مليوناً من الجنيهات وثمن كل ما اصدرهُ اقل من ٣٢ مليوناً فالفرق بين ثمن الصادر وثمن الوارد وهو اربعة ملايين من الجنيهات لم يكف لايفاء فائدة دين الحكومة وديون الاهالي ولذلك اضطرَّ القطر ان يصدر من الذهب الذي كان فيهِ اكثر مما ورد اليهِ منهُ وبقي مديوناً . فاذا استطاع ان يقلل ثمن وارداته في العام المقبل حتى تصير ١٨ مليوناً من الجنيهات فقط استطاع ان يوفي ثمنها وفوائد دين الحكومة وديون الاهالي ولو هبط ثمن قنطار القطن جنيهاً اولو بقي ثمنهُ على حالهِ ونقص ما يباع مليوني قنطار الى ثلاثة . فالاقتصاد في النفقات ضربة لازب في الاحوال الحاضرة لنجاة البلاد من الافلاس

وجد الباحثون في انواع الطعام وما فيها من الغذاء للانسان انهُ اذا عُلف الثور حبوباً لكي يذبح ويؤكل لحمهُ ضاع من الحبوب حتى تصير لحماً ٩٧ في المئة فاذا كانت الحبوب من الفول والذرة وما اشبه تكفي لتغذية مئة رجل ثم اكلها الثور وصارت لحماً وردها في جسمهِ فهذا اللحم والسمن اللذان تولدا من تلك الحبوب يكفيان لتغذية ثلاثة رجال فقط . ثم ان اللحم اطيب من الذرة والفول ولكن الحصول عليهِ باطعام الحبوب للمواشي اسراف لا يستطيعهُ الا الاغنياء . وقد حسب بعضهم ان موسم الذرة في الولايات المتحدة يكفي ٢٣٠ مليوناً من السكان اذا عاشوا كما يعيش الصينيون والهنود ولكن سكان الولايات المتحدة يستهلكونهُ كلهُ تقريباً ويستهلكون فوقهُ ما يعادلهُ من سائر الحبوب والبطاطس وهم اقل من مئة مليون لا لانهم يكثرون من اكل الحبوب بل لانهم يحولون اكثرها الى لحم واشربة روحية تلذذاً بالمعيشة . وواضح من ذلك ان نفقات الحاجيات غير كثيرة وانما الكثير نفقات الكماليات فاذا اضطر الانسان الى الاقتصاد في كمالياتهِ اقتصد كثيراً وقس على ذلك ما يقال في الاكسية على انواعها

اسباب الحرب ونتائجها

يسهل البحث عن اسباب هذه الحرب ويصعب التكهن بنتائجها لانها حين كتابة هذه السطور لا تزال سجالاً . دوّخ الالمان بلاد البلجيك وانتشروا في جانب كبير من فرنسا ودنوا من باريس ودخل خصومهم الروس بلادهم وبلاد النمسا حليفتهم ودوخوا جانباً كبيراً منها والمستقبل غيب . وقد ذكرنا في مقتطف سبتمبر ما بدا لنا من اسباب هذه الحرب ونتائجها ورأينا الآن مقالة في هذا الموضوع لكاتب خبير وهو السر هري جنستن في مجلة القرن التاسع عشر التي صدرت في اول سبتمبر فاقتطفنا منها ما يأتي

ان بزور هذه الحرب زرعت سنة ١٨٨٤ فان المانيا عزمت حينئذٍ ان تصير من دول الاستعمار الكبيرة لما رأت من تغلب انجلترا على بلاد الكنجو وبسط انكلترا لسيادتها التجارية على بلاد النيجر وعمل فرنسا في غرب افريقية ومدغسكر حاسبة انها ان لم تستول هي على جانب كبير من بلدان الامم لتتناول منهُ المواد التي تستعمل في الصناعة وتبيع فيهِ مصنوعاتها صارت صناعتها عبدة ذليلة لاميركا وانكلترا وفرنسا لاسيما وان اميركا وفرنسا ضربتا الكوس الباهظة على ما يرد اليهما من البضائع ولا يبعد ان تتبع انكلترا خطواتهما فلا يبقى لالمانيا مورد تستورد منهُ المواد اللازمة لصناعتها فيتعذر عليها مباراة هذه البلدان صناعةً وتجارةً

ولما حاولت المانيا الاستيلاء على بعض البلدان الافريقية راب الانكليز امرها لكنهم لم يروا وجهاً للاعتراض عليها فاستولت في افريقية وجزائر البحر بحق او بغير حق على بلاد مساحتها ١٣٥٠٠٠٠ ميل مربع وكان نصيبها من افريقية كبيراً جداً . وقد ندم الانكليز على جانب كبير من غربي افريقية عرضهُ اصحابهُ عليهم فلم يقبلوهُ لانهم حسبوهُ صحاري قاحلة لا خير فيها فاخذتهُ المانيا واذا هو من اغنى البلدان بخيراته فيهِ الماس والنحاس ومهاد الفوانو وما اشبه

لكن المانيا لم تقنع بما ملكتهُ من هذه البلدان وبما تتوقع امتلاكهُ من غيرها بل قصدت ان تصير من الدول البحرية الكبيرة وتمسك بذراعيها البحر الشمالي وبحر بلطيق من الشمال والغرب وبحر الادرياتيك من الجنوب والشرق وبلغت الادرياتيك باتفاقها مع النمسا حتى صار اتصالها بها اشد من اتصالها بمقاريها احدى ممالكها . ثم اذا وصلت النمسا الى بحر ايجيا (الارخبيل) وامتدت سلطتها الى كورفو سهل على المانيا الوصول الى بر الاناضول والعراق رأت انكلترا منها ذلك ولم تمانعها بل حسبت ان اتساعها وتوسعها امر مقضي لا بدَّ منهُ

ولكنها رافقت بعين الحذر ما رأته من ازدياد اسطولها فاوجست من ذلك شرًّا لان امبراطورها لم يخف ما في نفسه بل كاشف به وزراءه وغيرهم وهو ان تبسط المانيا في افريقية وما يتوقع ان يستولي عليه من املاك تركيا لا يغنيه عن الاستيلاء على اسوج والدنمارك وهولندا وبلجكا فتمتد سلطته حينئذٍ من اسوج شمالاً الى تريستا فكرفو فسلانيك فالاستانة فبغداد فخليج العجم جنوبًا ويبقى الهند الى ان تحين الفرص لتدويخها

وقد بدأ الآن في العمل بما ينويه فهاجم بلجكا وفرنسا واضطر انكلترا الى الدفاع عنهما ولا بدَّ من ان يوقع بهما وبانكلترا ضررًا كبيرًا ويجعلها خائرة فاحشة ولكنه استهدف وعرَّض بلاده لفقدان كل ما تملكه من المستعمرات وما لها من الامتيازات والنفوذ في البلاد المثانية وما كانت تنتظر امتلاكه في افريقية من املاك البرتغال والبلجيك . واذا تابع الحرب الى النهاية كما يقول فاما ان يُغلَب فتخرج بلاده الى ممالك وامارات صغيرة لا يخشى شرها في المستقبل واما ان يَغلِب فتخرج بلاده من الحرب وقد هلك اكثر جيشها وضرب الافلاس فيها اطنابه بعد ان تكون قد خربت انكلترا واخلت فرنسا من سكانها ويتسع المجال حينئذٍ لروسيا والولايات المتحدة وكندا وجنوب افريقية واستراليا وزيلندا الجديدة واليابان حتى تمتلك المسكونة صناعة وتجارة وتخرج المانيا منها ويحتمل ايضًا ان تقوم حينئذٍ الشعوب السوداء والحمراء والصفراء وتخلع نير الاوربيين وتنازعهم السيادة فلا تقوم لالمانيا قائمة بعد ذلك ولو كان الفوز لها في هذه الحرب

والمانيا لا تسمع نصح الناصحين فلم يبقَ لانكلترا الاَّ ان تبذل كل ما في وسعها لتفوز عليها باسرع ما يمكن فتنجيها من الاضمحلال وتنجي نفسها ايضًا من الخراب والظاهر مما كتبته الجرائد الالمانية الموعز اليها ان هذه النتائج لا بدَّ منها فقد قالت عند ابتداء الحرب ان المانيا لا ترحم المغلوب ولقد جاءت فعال الالمان في الغرباء الذين كانوا في بلادهم وفعال جيوشهم في البلدان التي دخلوها مؤيدة لذلك فدعت الى توثيق عرى الاتحاد بين خصومهم وتألبهم على بقاء متحد لدفع شرهم عنهم ولا بدَّ من ان يعاملوهم بعد الفوز عليهم بما كانوا هم عازمين ان يعاملوهم به فيقصروا اشبار المانيا حتى لا تستطيع ان تضرَّ بهم في المستقبل

والظاهر ان المانيا وقعت الآن بين شرين لا بدَّ لها من اختيار احدهما فاما ان تطلب ممالكها وامارتها الخارجة عن بروسيا المتحدة وتخلع نير بروسيا ونير اسرة الامبراطور عنها او تواصل الحرب الى ان تقهر المانيا فتقسم الى ممالك وامارات صغيرة وتفصل المجر عن النمسا وتتحد انسام بولونيا الثلاثة فتعود مملكة واحدة تحت سيادة روسيا وتتحد بوهيميا ومورافيا وتنفرد

الدنمارك شلسويك الشمالية وتأخذ كل من رومانيا والسرب ما يخصها من امبراطورية النمسا وتأخذ ايطاليا ترنتو والقسم الايطالي من اوستريا ودلماطيا وتستعيد فرنسا كل ولايات الرين وتأخذ بلجكا ما تستحقهُ وهي تستحق اكثر من غيرها ويمتد شعب هولندا الى امس وتشترك روسيا وانكلترا وفرنسا في اقسام مملكة بغداد وتأخذ انكلترا املاك المانيا في شرق افريقية حتى تتصل املاكها من بلاد الرأس الى مصر

ومن المحقق ان الشعب الالماني لم يدرك حتى الآن الخطر الذي هو فيهِ وان المتنورين منهُ ومن النمسويين اصحاب المصالح الكبيرة في همبرج وبرمن وهنوفر وبرنسويك ودرسدن وليبسك وكولن ومنهيم ودرمستات وويمر وفرنكفورت وكارلسرو وستتغارت وموفخ وثيبنا ينهضون ويطلبون توقيف الحرب وارجاع الجنود الالمانية الى المانيا . وتطلب المانيا والنمسا حينئذٍ عقد مؤتمر دولي يقضي بينها وبين خصومها ولا بدَّ لها من ان تسلما دولة كبيرة محايدة مثل الولايات المتحدة الاميركية كل البلدان التي عليها النزاع وجانباً كبيراً من اساطيلها ضماناً على انهما تقومان بما يفرضهُ عليهما المؤتمر . وكل ما يفرضهُ عليهما يكون خفيفاً جداً في جنب اضمحلال الامبراطورية الالمانية الذي هو نتيجة لازمة عن استمرار هذه الحرب لانهُ يستحيل ان يكون الفوز لها وللنمسا اخيراً ولم يبقَ لهما الا ان تعترفا بخطإهما وبان الامور لم تأتِ على ما قدَّرتا فقد اخطأتا في تقديرهما قوة السرب والبلجيك الحربية ومقدرة الاسطول الالماني على الاضرار بالتجارة البريطانية وفي اعتمادهما على مساعدة ايطاليا والدولة العثمانية لها . اخطأ خطأً الحكومة الالمانية والحكومة النمسوية فهل يجوز ان يؤخذ شعباهما بجريرتهما . هل يجوز ان تهلك الملايين وتضام الملايين لان عشرين رجلاً من الملوك والامراء والوزراء والقواد ليس فيهم من الشجاعة الادبية ما يحملهم على الاعتراف بخطإهم

وخلاصة ما تقدم اولاً انهُ حتى شهر يوليو الماضي لم ترَ المانيا من انكلترا وفرنسا معارضة في ما تبتغيهِ من التوسع في الاستعمار والاتجار سواء كان في افريقية او في جزائر البحر والصين وبر الاناضول والروملي . وثانياً ان المانيا رغماً عن ذلك كلهِ استولت على لكسمبرج واجتاحت بلجكا وشهرت الحرب على فرنسا وجاهرت بانها قاصدة اخذ مستعمراتها منها وذلك كلهُ بناء على ان مملكة السرب الصغيرة اظهرت العداء للنمسا . ولا تستطيع المانيا ان تجهل ان عملها هذا يدعو الى قتل كثيرين من الابرياء في بلجكا والارزاس واللورين وتلف ما لا يقدر من الاملاك والمقتنيات والآثار الفنية ويحمّل بريطانيا وفرنسا وبلجكا نفقات تفتقر شعوبهنَّ سنين كثيرة

هذه خلاصة ما كتبهُ السر هري جنسن وهو صديق لالمانيا والالمانيين ولهُ مقالات كثيرة قبل ذلك حاول بها اقناع قومهُ والالمانيين بان يصافوا وينزعوا من بينهم كل خلاف وضغينة وكان يعتقد انهُ سينال ما يتمناهُ ولكن حبطت مساعيهِ لان الطبيعة الغضبية لا تزال قوية في الانسان وستبقى كذلك دهوراً طويلة

سياسة المانيا ومستقبلها

ان المقالة السابقة ملخصة مما كتبهُ صديق حميم للالمانيين بذل جهدهُ في جعل انكلترا حليفة لالمانيا وازالة ما بين المانيا وفرنسا من اسباب الخلاف ولكن السطور التالية مقتبسة من مقالة لكاتب آخر مضت عليهِ الاعوام وهو يجاهر بمساوىء السياسة الالمانية ويحذر بلادهُ منها وهو المستر اليس باركر مؤلف كتاب المانيا الحديثة فقد كتب سنة ١٩١٢ في مقدمة الطبعة الرابعة من كتابهِ هذا يقول

« ان فشل السياسة الالمانية الذي اشرت اليهِ في الطبعات السابقة من هذا الكتاب قد زاد في السنين الاخيرة فان نظارة الخارجية الالمانية تدرَّجت من فشل الى فشل ومن خطإ الى آخر وما حادثة المغرب الاقصى الاخيرة الا غلطة من سلسلة اغلاط متوالية ومشروعات فاشلة . وسياستها تجاه بريطانيا هي التي سبَّبت الاتفاق الثلاثي وعجَّلت توحيد الامبراطورية البريطانية الذي كانت المانيا تتمنَّى منعهُ وقد حاولت منعهُ فعلاً . ويظهر فشل سياستها الداخلية بما ثبت من ازدياد الحزب الاشتراكي في بلادها حتى بلغت اصواتهُ في الانتخابات الاخيرة سنة ١٩١٢ اكثر من ٤٢٥٠٠٠٠ صوت . ولا شبهة في ان المانيا نجحت نجاحاً فائقاً في صناعتها وتجارتها ولكن من يمعن نظرهُ الآن يجد ان نجاحها اخذ يقل ولا يظهر ان مستقبلها سيبقى باهراً كما كان »

ثم استطرد في هذه المقالة الى الاستدلال على ما يتدرهُ للدولة الالمانية من الخراب العاجل فقال ــــ

لقد اكَّد لي اصدقاء الامبراطور مراراً انهُ محب للسلام ولكنني لم انفك عن حسبانهِ عاملاً على تقويض دعائم السلم ولقد سبقت فحدَّدت الوقت الذي يفعل فيهِ ذلك فقلت في مقالة نشرت في جزء يوليو من مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٩٠٧ عند كلامي على توسيع ترعة كيال حتى تسير فيها اكبر المدرعات ما نصهُ

« ينتظر ان تتم ترعة كيل التي تصل البحر الشمالي ببحر بلطيك بعد ثماني سنوات . ففي هذه السنوات الثمان لا تستطيع المانيا ان تنتفع بهذه الترعة الا لتسيير سفنها الصغيرة القديمة ولذلك تبقى بوارجها الكبيرة محصورة اما في بحر بلطيك او في البحر الشمالي فستبذل جهدها لكي لا تقع في مشكل مع دولة بحرية من الدول الكبرى بل تحتفظ بالسلم مع كل جيرانها ولكن متى اتمت هذه الترعة تصير مستعدة لحرب بحرية كبيرة »

ولقد كان لهذه المقالة ولاسيما خاتمتها وقع عظيم في انكلترا وغيرها وبذل الالمان جهدهم فاتموا توسيع الترعة في سبع سنوات بدلاً من ثماني سنوات واحتفلوا بإتمامها في ٢٤ يونيو الماضي قبلما شهرت الحرب بخمسة اسابيع وقد حضرت البوارج الانكليزية هذا الاحتفال وكان لها حصة كبيرة من الاشتراك فيه

لما ارتقى الامبراطور الى عرش آبائه كان لالمانيا نكتة العنا في اوربا وكانت المحالفة الثلاثية مشدودة العرى عزيزة الاركان لان خصومها كانوا منفردين فان بسمارك كان قد اوقع النفرة بينهم بدهائه السياسي ففرّق بين فرنسا وايطاليا بسماحه لفرنسا ان تأخذ تونس التي كانت ايطاليا تصبو الى امتلاكها واوقع النفرة بين انكلترا وفرنسا باغراء فرنسا لكي تناظر انكلترا وتقاومها في امتلاك المستعمرات . وزاد مسافة الخلف بين انكلترا وروسيا بتشجيعه روسيا على مباراة انكلترا في اسيا . ولما نجح في تحريض فرنسا وروسيا على انكلترا اطمأن بانه بان انكلترا تساعده اذا حاربتاه او تبقى على الحياد

وفي كثير من خطبه واقواله ما يدل دلالة قاطعة على انه كان يخطب ود انكلترا ويقصد مصافاتها فقد عرضت في مجلس النواب الالماني في ١٠ مايو سنة ١٨٨٥ مسألة خلاف بين انكلترا والمانيا على بعض المستعمرات فوقف وقال

« اني اطلب من حضرة العضو الذي تكلم اخيراً ان لا يحاول تكدير العلاقات الودية التي بين انكلترا والمانيا ولا ان يضعف ثقة الناس بدوام السلم بين هاتين الدولتين بقوله اننا سنجد انفسنا يوماً ما مضطرين الى محاربة انكلترا فاني انكر احتمال ذلك كل الانكار . والمسائل الخلافية التي بين انكلترا والمانيا وهي الآن موضع النظر ليس لها من الشأن ما يستدعي نقض السلم لا من جهتنا ولا من جهتها وفوق ذلك فاني لا اعلم ما هو الخلاف الكبير الذي يمكن ان يقع بين انكلترا والمانيا »

وبعد اربع سنوات تكلم في مجلس النواب الالماني على ما وقع من الخلاف بين انكلترا والمانيا في زنجبار فقال « ان الاحتفاظ بمودة انكلترا اهم شيء لنا واني ارى في انكلترا حليفة

فسيحة بحرية . ولا خلاف بيننا وبينها واذا قلت انها حليفة لنا لا اعني بذلك المعنى السياسي لاننا لسنا متحالفين معها ومع ذلك اود ان نبقى على تمام الوفاق معها حتى في مسائلنا الاستعمارية . وقد سارت الامتان الانكليزية والالمانية جنباً الى جنب مئة وخمسين سنة على الاقل واذا رأيت انهُ لا بدَّ لنا من الانفصال عن بريطانيا فاني ابذل جهدي لكي احتفظ بمودتها »

ولقد كان بسمارك حريصاً على حفظ عرى الصداقة مع انكلترا مكيتة لانهُ كان يتوقع مساعدتها اذا اتفقت فرنسا وروسيا على المانيا وحاربتاها وكان يخشى معاداة انكلترا لانها تستطيع ان تلحق الاذى بالمانيا بحراً ولان المانيا والنمسا لا تستطيعان ان تعتمدا على مساعدة ايطاليا الاَّ اذا كانت انكلترا معهما او اذا وقفت على الحياد فان سواحل ايطاليا واسعة وفيها اهم مدنها فلا اسهل من تدميرها بالقنابل الانكليزية ومثلها ايضاً سككها الحديدية فانهُ يسهل تخريبها كلها على دولة بحرية وهي تعتمد على البحر في موارد رزقها مثل انكلترا فاذا كانت انكلترا معادية لالمانيا اضطرت ايطاليا ان تتخلى عنها

وقد عظم شأن المانيا بسياسة بسمارك لانها فازت في ثلاث حروب كبيرة . ولما تم توحيدها على اسس راسخة جرى في سياستهِ الخارجية متبعاً سبيل المسالمة والحكمة والاعتدال لكي تثبت عظمة المانيا وتأمن المخاطر لانهُ كان يعلم ان سياسة التهور والطيش والاعتداء والتحرش تقيم لها الاعداء الالداء والامبراطورية جديدة لا قبَل لها بهم . وقد وضع خطط السياسة التي يجب ان تسير عليها بلادهُ في خاتمة سيرتهِ حيث قال

« ان تسيير سفينة السلطنة بين العواصف التي اثارها مركزنا الجغرافي وتاريخنا السياسي يضطرنا الى ان نعدَّ دائماً عدتنا الحربية الكافية وننظر الى الامور نظراً دقيقاً . وعلينا ان نبذل اقصى جهدنا لكي نزيل ما قام في نفوس غيرنا من الكراهة لنا بسبب صيرورتنا من الدول العظمى وذلك بان نستعمل نفوذنا استعمالاً مقروناً بالدعة وكرم الاخلاق فنقنع العالم ان تفوق الدولة الالمانية انفع له واسلم واقل اجحافاً بحقوق الدول الصغيرة من تفوق فرنسا او روسيا او انكلترا . ولا تنال هذه الثقة بنا الاَّ اذا اقلنا العثرة ورغبنا في المسالمة وكان كرم الاخلاق اساس كل معاملاتنا وكان باطننا مثل ظاهرنا »

وسنة ١٨٨٨ توفي وليم الثاني الى عرش آبائهِ وكان يعتقد انهُ ورث روح فردريك الكبير واخلاقهُ وقد رسخ هذا الاعتقاد فيهِ بما كان يقولهُ لهُ المتملقون من اعوانهِ فجاهر بان الله يوحي اليهِ وهو الذي اليهِ تاج الملك وانهُ غير مسؤول لاحد الاَّ لله عز وجلَّ . ومن اقوالهِ المأثورة « لهذه البلاد سيد واحد وهو انا . من قاومني سحقتهُ سحقاً . نحن آل هوهنزلرن

نتناول تاجنا من الله وحده ولا نقدم حساباً الى احد عن اعمالنا الا الى الله . السنة العليا لارادة الملك يجب ان لا تريدوا الا ما اريدهُ انا . ليس في البلاد الا سنة واحدة وهي سنتي »

وهو كثير الكلام طلق اللسان شديد الثقة بنفسهِ يحيط بهِ جماعة من المتملقين وقد حمل دأبهُ التعرض لاعمال وزرائهِ ومحاولة ادارتها بنفسهِ فلم يكد يتربع على عرش الملك حتى اقال بسمارك لانهُ ابى ان يجاريهُ في كل رأي خطير وعمل عاقبتهُ الفشل . وقال انهُ سيدير دفة الحكومة في طريق جديد اختطهُ هو لها فيقود البلاد الى المجد والعظمة ويكون وزير نفسهِ فصفق لهُ المتملقون طرباً وهتفوا اعجاباً . ومن ثمَّ صار يجازف غير حاسب للعواقب حساباً فاغاظ الممالك الاوربية كبارها وصغارها ولم يستثنِ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة

ونظر بسمارك من معتزلهِ الى اعمال الامبراطور بالدهشة والاسف وخاف ان يقود البلاد الى المخاطر فكتب في مذكراتهِ يقول « ان الامبراطور ولهلم الاول كان بعيداً عن هذا العُجب الذي نراهُ الآن وكان يخشى ان يعمل عملاً ينتقدهُ معاصروهُ او خلفاؤهم . ما كان احد يتجاسر ان يتملقهُ في وجههِ لانهُ كان يقول اذا حقَّ لاحد ان يتملقني في وجهي حق لهُ ان ينتقدني في وجهي . وكان يكرهُ الاثنين

« واني اخشى من اننا اذا واظبنا على السير في الخطة التي نحن فيها الآن ذهب مستقبلنا ضحيَّة التسرُّع . كان ملوكنا السابقون ينظرون الى كفاءة مشيريهم لا الى خضوعهم لهم فاذا لم يُطلب من المشير الا الطاعة لاوامر مولاهُ وقع العبء كلهُ على المولى واي ملك يستطيع القيام بهذا العبء وفردرك الكبير لم يستطع القيام بهِ مع ان مطالب السياسة في عهدهِ كانت اسهل مما في الآن »

ولقد اتحف الامبراطور بنصيحة بسمارك الحكيم وهي ان المانيا يجب ان تتبع سياسة الصراحة والمسالمة وتجنب كل ما يغيظ الدول الاخرى وزاد على ذلك انهُ تحدى بريطانيا العظمى في تفوقها البحري فقلبها من صديق حميم الى خصم عنيد

ولقد انذر كاتب هذه السطور البرنس بولوف والامبراطور فن ترتز مراراً بان اهتمام المانيا بمناظرة بريطانيا في البحر يعود على المانيا بالضرر الكبير لانها اذا اشتبكت في حرب اوربية اضطرت بريطانيا ان تنصر خصومها عليها فلم يحفلا بقولهِ

حدثت مسألة المغرب الاقصى الثانية في صيف سنة ١٩١١ بارسال السفينة الحربية بنثر الى الغدير وكادت تفضي الى استعار نار الحرب بين فرنسا والمانيا وحينئذٍ قال المستر لويد جورج في الشمن هوس (دار البلدية) علانية انهُ اذا حاربت المانيا فرنسا اضطرت

بريطانيا ان تساعد فرنسا في الدفاع عن نفسها ومنع الخلاف بين بريطانيا والمانيا حينئذٍ حدثاً . ولما فُصل الخلاف بين فرنسا والمانيا في شهر دسمبر تلك السنة لبث واحداً من زعماء السياسة الالمانيين من نظارة الخارجية الالمانية ودار الحديث بيننا فاثبت لهُ ان اهتمام المانيا بتقوية اسطولها حتى يباري الاسطول البريطاني يوقعها في خطر ويفضي الى حلف المحالفة الثلاثية وان سياسة المانيا هذه تهدد كيانها لان سلامتها تتوقف على توثيق عرى الصداقة مع بريطانيا وانهُ يحسن بها ان تجنب مغاضبة فرنسا ولا تزيد سفنها الحربية فوق البيان الذي وضعتهُ لها لانها اذا استمرت سائرة في الخطة التي هي فيها الآن فلا بدَّ من وقوع الحرب بينها وبين بريطانيا . وقلت لهُ ان حرباً مثل هذه تكون نتيجتها قهر المانيا وسقوطها وانا اقول هذا القول في مصلحة المانيا لا في مصلحة بريطانيا لانهما اذا تحاربتا لم تخسر بريطانيا شيئاً يذكر واما المانيا فتخسر كل شيء . فلما قلت لهُ هذا القول الصريح احتدم غيظاً واهانني في الكلام . والظاهر ان الذين يديرون سياسة المانيا الخارجية ضُربوا بالعمى . وبعد اسابيع قليلة زيد البيان الالماني الحربي زيادة كبيرة وقرَّ القرار على ان تكون الاساطيل الالمانية كلها على قدم الاستعداد للحرب دائماً حتى في زمن السلم وشرعت الصحف تهيج الشعب على بريطانيا . ولما عدت من المانيا كتبت مقالة في مجلة الفورنيتلي قلت فيها ما يأتي

« ان بريطانيا العظمى غير مضطرة الى مراضاة المانيا لان ابتعاد المانيا عنها لا يضرُّ بها واما ابتعادها هي عن المانيا فيضر بالمانيا ويعرضها لخسارة كبيرة فان البلاد البريطانية امينة في كل مكان واما البلاد الالمانية فمعرضة للخطر من كل جهة ولذلك فالمانيا احوج الى معاونة بريطانيا من بريطانيا الى معاونتها نعم ان الجيش الالماني لا يزال اعظم جيش في اوربا ولكنهُ لا يقدر ان يقاوم جيوش الدول الاوربية التي يمكن ان تتألب عليهِ ولذلك لا يخشى من المانيا الآن على سلام العالم كما كان يخشى منها قبلاً لانفرادها وابتعادها عن بريطانيا العظمى . وعلى ساستها ان يهتموا بالدفاع عن انفسهم اكثر مما يهتمون بالهجوم على غيرهم ولذلك فمن الجنون ان يقول حكام المانيا انهم يحتاجون الى زيادة البوارج لكي يتغلبوا بها على بريطانيا

« ومستقبل المانيا مظلم فان غناها ونموها لا يكفيان لجعل جيشها اعظم الجيوش وبوارجها من القوة بحيث تتحدى اعظم الدول البحرية فان كل دولة حاولت ان تكون الاولى براً وبحراً معاً عادت بالفشل »

ولما اتضح ان المانيا مصرَّة على تحدي بريطانيا ومغاضبتها كتبت في مجلة القرن التاسع عشر في شهر يونيو سنة ١٩٠٢ ما نصهُ

« لا تستطيع دولة ان تتوسع في سياستها البحرية الا اذا كانت بلادها في حرز حريز إما بان تكون جزيرة كبريطانيا واليابان او بان تكون بعيدة لا يستطيع جيرانها ان يغزوها كالولايات المتحدة . اما المانيا فلها ثلاث جارات قويات واثنتان منهن وهما فرنسا وروسيا ليستا من صديقاتها ولا تستطيع ان تثق ثقة تامة بمساعدة جارتها الثالثة وهي النمسا . وقد انتبه بسمارك لذلك وحذرها منه في مذكراته . ولهذا فحاجة المانيا الكبرى هي الى التحصن في البر لا الى التوسع في البحر ومصالحها برية لا بحرية » . وواضح ايضاً ان سياسة الامبراطور ولهلم جعلت المحالفة الثلاثية اسماً لغير مسمى فلا تستطيع المانيا ان تعتمد على معونة ايطاليا في ساعة الشدة . وقد كتبت في هذا الموضوع سنة ١٩١٢ اقول

« السياسة الخارجية بنتائجها فيها تمدح او تذم . لما اقيل بسمارك من منصبه كان التحالف الثلاثي متين الاركان كالبناء المرصوص وكانت كل من فرنسا وروسيا وبريطانيا منفصلة عن الاخريين ولذلك كانت المانيا في حرز حريز وكانت صاحبة الامر والنهي في اوربا . فلما اتبعت سياسة المغاضبة لبريطانيا ابعدتها عنها وقربتها من فرنسا واضعفت المحالفة الثلاثية وقل من يتكل الآن من الالمان على ايطاليا في ساعة الضيق فكانت نتيجة السياسة الالمانية ان تولد الاتفاق الثلاثي وضعفت المحالفة الثلاثية او انحلت . نعم انها لا تزال في حيز الوجود ولكنها حبر على ورق لانه لا ينتظر من ايطاليا ان تنصر المانيا على فرنسا ولا يحتمل انها تحارب بريطانيا وبالاحرى لا تحارب بريطانيا وفرنسا متحدتين . وقل من يعتمد على مساعدة ايطاليا من الالمان المتنورين واكثرهم يعتقد انها تبقى على الحياد اذا نشبت حرب اوربية كبيرة او تنضم الى اعداء المانيا »

واعيد القول الآن ان مركز المانيا في اوربا كان في عهد بسمارك وبداءة حكم الامبراطور ولهلم الثاني امناً جداً فقد كان اعداؤها منفصلين غير متحدين وكانت المحالفة الثلاثية حامية لان المانيا كانت تستطيع الاعتماد على تركيا ورومانيا عند الحاجة وكانت تركيا ورومانيا قادرتين على مساعدة المحالفة الثلاثية اذ نشبت الحرب بينها وبين روسيا ولكن المانيا اغضت عن تركيا وسمحت لايطاليا ان تسلبها املاكها ثم سمحت لمالك البلقان ان تعمل ما فعلت ايطاليا فتغير التوازن في اوربا ورأت رومانيا ان المحالفة الثلاثية لم تعد اقوى من الاتفاق الثلاثي لاسيما وانها تنوي الاستيلاء على البلاد المجاورة لها من مملكة النمسا والمجر التي يسكنها ثلاثة ملايين من الرومانيين . فضعف سياسة الامبراطور ولهلم اضعف تركيا وحرم المانيا مساعدة سبع مئة الف من جنود الاتراك البواسل وحرمها ايضاً مساعدة ايطاليا .

ومساعدة هاتين الدولتين لالمانيا كانت فائقة الثمن ولاسيما في هذا الوقت . وقد اشرت الى ذلك في مقالة نشرت في هذه المجلة في شهر يونيو من السنة الماضية حيث قلت

« لقد كان من سياسة المانيا انها الجأت بريطانيا العظمى الى الاتفاق مع فرنسا وروسيا فتعرضت المانيا لحرب برية وبحرية في وقت واحد ولذلك وجب عليها ان تقوي مركزها البري حتى استحيل التغلب عليها برًّا وذلك بتقوية النمسا وايطاليا ورومانيا وتركيا ولاسيما تركيا لان مساعدتها كبيرة القيمة اذا نشبت الحرب بين المانيا وبريطانيا وكان الواجب عليها ان تضمها الى المحالفة الثلاثية ولكنها جرت في سياستها مع تركيا كما جرت في سياستها مع بريطانيا بالرعونة وقصر النظر في العواقب فسمحت اولاً لايطاليا ان تغزو بلاداً عثمانية وتجتاحها وسمحت ثانياً لممالك البلقان ان تحاربها وتفوز عليها وتنتزع جانباً كبيراً من بلادها . فلو كانت المانيا على شيء من حسن السياسة او لو كان زمامها في يد سياسي محنك او رجل بصير بالعواقب لرأت ان تعضيدها لتركيا اهم لها من تعضيدها لايطاليا ولضمت تركيا الى المحالفة الثلاثية كما اشار الجنرال فون برنهاردي او لاجابت بلاغ ايطاليا النهائي لتركيا ببلاغ مثله لايطاليا والمرجح انها كانت منعت اجتياح ايطاليا لطرابلس الغرب »

والمشهور ان الجيش الالماني احسن الجيوش انتظاماً ولكن الخبيرين بالامور الحربية يقولون لك ان الامبراطور اضرَّ بالجيش الالماني كما اضرَّ بالسياسة الالمانية فانهُ من حين اهتم بمباراة بريطانيا بحراً اهمل امر الجيش فاولاً قلل نفقاته وعدد المنتظمين فيه لكي ينفق على الاساطيل والبحارة وثانياً جعل نفسهُ قائداً للجيوش البرية والبحرية كما جعل نفسهُ وزيراً للداخلية والخارجية يقال انهُ لما عين ابن اخ ملكي رئيساً لاركان الحرب كما كان عمهُ ملكي الشهير اعتذر عن قبول هذا المنصب لانهُ لا يستطيع القيام باعبائهِ فطيب الامبراطور خاطرهُ وقال لهُ أن ما لا تعرفهُ انت اعرفهُ انا فانوب منابك في كل ما يطلب منك عملهُ

وقد شرحت هذا الاهمال للجيش في المقالة التي تكلمت فيها عن فشل السياسة التي جاءت بعد بسمارك حيث قلت « ان زعماء هذه السياسة يقولون ان مستقبل المانيا في البحار ولذلك اهملوا الجيش في انكم وانكيف . فجعلت المانيا تسجو على بحريتها وتعول على بريتها ولم تقف نتيجة ذلك عند تقليل الجيش بل تناولت صفات ضباطهِ فيشكو القواد الالمان الآن من ان ترقية الضباط صارت بالصنيعة اكثر منها بالكفاءة . والمواد الحربية من اسلحة ونحوها لم تعد صالحة كما كانت قبلاً وصارت عند الفرنسويين اصلح منها عند الالمان وكذلك صارت المدافع الفرنسوية اصلح من المدافع الالمانية بشهادة الكولونل بيل وغيرهِ من الثقات وامست

حركات الجيش الالماني قديمة . ولم يستفد الالمان مما رأوه في حرب البوير وحرب الروس واليابان . وقد نشر الماجور هوبنستات كتاباً سنة ١٩١٠ قال فيه ان الجنود الالمانية تضيع اكثر وقتها في التعلم في ساحات التكنات واقلهُ في الحركات الحربية . ويحسب كثيرون من الضباط ان سبب هذا الاهمال هو الامبراطور فان جدهُ ولهلم الاول كان جندياً فكان الجيش شغلهُ الشاغل ولم يكن يسمح لاحد ان يقلقهُ ولا كان للصنيعة محل عندهُ واما ولهلم الثاني هذا فجعل البحرية شغلهُ الشاغل فلا يهتم بالجيش الا مكرهاً . ويقول كثيرون ان اهتمامهُ به ليس اكثر من اهتمامهِ بنظارة الخارجية »

ولما حدثت حادثة المغرب الاقصى بادرت المانيا الى تعزيز جيشها فاصلحت الاسلحة وقوّت الحصون . كانت ميزانية الحربية ٤٧٢٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٢ فصارت ٥٠٠٤٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ و ٨٣٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٤ وعينت ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فوقها نفقات غير عادية لتعزيز الجيش . ولكن الجيوش والاساطيل تنمو نمواً ولا تخلق خلقاً ولا يصلح في يوم ما افسد الدهر ناهيك عن ان رقي الجنود واعتمادهم على انفسهم لا يشتريان بالمال ولا ينزع به ما في النفوس من الغرور ولا يعطى به حسن النظر في العواقب ولا يبدل به قوّاد ترقوا بالصنيعة بقواد يستحقون الترقي بالكفاءة

قلنا ان بسمارك علّم بلادهُ بعد ان عظم شأنها ان تسير بالدعة والتؤدة والمسالمة ولكنهُ اوصلها الى هذه العظمة بالاعتداء على غيرها فرسخ عملهُ في نفس ابنائها اكثر مما رسخ تعليمهُ ولذلك بقيت الحكومة الالمانية تعتقد انها لا تزيد عظمة وتبسطاً الا بالقوة وهذا مذهب الشعب الالماني تألفت منهُ عصب مختلفة لاغراض مختلفة من ذلك عصبة البحرية وهي تحوي مليون نفس وغرضها جعل البحرية الالمانية اقوى بحريات الدول كلهن . وعصبة الجيش وهي تسعى لجعل الجيش الالماني اقوى جيوش العالم . وعصبة الهواء او الطيران وغرضها ان تتسلط المانيا على السير في الهواء . وعصبة جمع الالمان وغرضها ان تغلب المانيا على بلجكا وهولندا والدنمارك والولايات الروسية على بحر بلطيك وان تتسلط المانيا اخيراً على العالم كلهِ

وجعل الكتّاب ينشئون الروايات ويبينون فيها كيف تتغلّب المانيا على فرنسا وروسيا وتحطم الاسطول البريطاني وتثير الثورة في الهند وتدوخ انكلترا وتنزع منها مستعمراتها وتقاص الولايات المتحدة وتمزق تعليم منرو الذي يمنع اوربا من امتلاك البلدان في اميركا . وقلما تجد في هذه الروايات او الكتب التي على شاكلتها اشارة الى ان المانيا قد تُقهر في حرب من حروبها . وقد خطب الوف من الخطباء والقواد والاساتذة حاثين على التدرُّع بالقوة

ولكن ليس منهم من حث على التدرع بالحكمة او بالحذر او بمعاملة الغير بالانصاف . وعندهم ان من يطلب الاعتدال او يفرض احتمال الغش هو خارج عن الوطنية وعدو لها

والشعب الالماني سهل القياد يفعل ما يطلبهُ زعماؤهُ . قد يعامل الغرباء بالتعسف ولكنهُ مع حكامهِ خراف وديعة وعبيد مطيعة سياستهُ سياسة حكامهِ ورأيهُ رأيهم . وقد مرَّ عليهِ ربع قرن وهو لا يسمع الا كلام العتو والعظمة والجبروت فتغير ما كان فيهِ من خلق كريم وعقل ثاقب

بعد ان رسم الكاتب هذه الصورة لالمانيا وامبراطورها وتوسع في ايضاحها وكيفية دخول المانيا في هذه الحرب وخرقها لحياد البلجيك واعتذارها عن ذلك بانهُ السبيل الوحيد للاسراع في قهر فرنسا استطرد الى وصف هذه الحرب وما يقدرهُ لها من العواقب فقال : —

ان الحكومة لا تفلح في حرب تثيرها ما لم يكن شعبها راغباً في هذه الحرب كما قال بسمارك في مذكراتهِ . والشعب الالماني ليس راغباً في الحرب الحاضرة كالشعب الفرنسوي والشعب الروسي . وقلما يفلح امرؤ في امر وهو ليس على حق فيهِ فلا يطول المطال حتى تضطر المانيا ان تأخذ جانب الدفاع . وشكل بلادها الطبيعي يسهّل عليها الدفاع عن نفسها فان فيها ثلاثة انهر كبيرة تخترقها من الجنوب الى الشمال وهي الرين والوزر والالبي فتعيق من يقصد تدويخها وكل جسور (كباري) الرين الكبيرة محصنة امنع تحصين وبين برلين والبلاد الفرنسوية سلاسل من الجبال يصعب ارتقاؤها . والبلاد من جهة روسيا سهل ولكن يصعب اختراقها على الجيوش الكبيرة لكثرة ما فيها من البحيرات والمستنقعات والغابات . وما فيها من الطرق وسكك الحديد تحميهِ حصون قوية فلا بدَّ من ان تطول الحرب كثيراً الا اذا قهر الجيش الالماني في معارك كبيرة فاصلة . ولكن اذا بقيت الحرب سجالاً طالت ستة اشهر او اكثر

ولا خوف من المجاعة في المانيا لانها تستغل من بلادها تسعة اعشار ما تحتاج اليهِ من الحبوب فتستعيض من العشر الباقي بالبطاطس والسكر وعلفها فيها كثيرة جداً تزيد على حاجتها . واذا قلت عمل البيرا والسبيرتو توفر لها كثير من البطاطس والشعير . وهي قلما تستورد شيئاً من اللحم ولكن قد يقل فيها علف المواشي ولا بدَّ من ان تحتاج الى الزبدة والبيض والجبن والسمك والبن والشاي والتبغ لانها تستورد كثيراً منها . ولذلك لا تفتقر الى لوازم المعيشة ولو طالت الحرب سنة او اكثر . ولكن معاملها تقف عن العمل لقلة الفحم الحجري والمواد الاولية كالصوف والقطن والحرير والمعادن وسيقل الوقود عند السكان لان اكثر مستخرجي الفحم الحجري خرجوا للحرب . وعشر تجارة المانيا الخارجية مع النمسا وجيرانها المصافين لها والتسعة الاعشار مع البلدان المحاربة لها الآن فستقف وقوفاً تاماً وتبطل معاملها ويفتقر عمالها

واذا دارت الدائرة عليها فالمرجح ان ينزع منها جانب كبير من بلادها شرقاً وغرباً وشمالاً فتفقد ولايتي الالزاس واللورين الفرنسويتين وفيهما مناجم الحديد التي رقّت الصناعة الالمانية. ومن المحتمل ان تأخذ فرنسا كل البلاد الالمانية الى حد نهر الرين . ويحتمل ايضاً ان تعطى شلسويك هولستين وكيال مع ترعة كيال للدنمارك لان هذه البلاد كانت لها حتى سنة ١٨٦٤ وتأخذ بريطانيا العظمى هليغولند وبوركم وكل المستعمرات الالمانية . وقد اعلن القيصر ان غرضهُ ارجاع بولونيا مملكة مستقلة تحت حمايته فتخسر المانيا جانباً كبيراً من شرقيها وتخسر ميناء دنتزج وكونجسبرج وهما من صميم مدن بروسيا فتصير برلين على ٩٠ ميلاً من تخوم روسيا بعد ان كانت على ١٨٠ ميلاً منها فتتعرض لهجوم الروس عليها من وقت الى آخر

ولا بدَّ من ان تنتقل مناجم المانيا مدة الحرب الى غير الالمان ثم حينما تضع الحرب اوزارها تضطر المانيا ان تدفع غرامة حربية لا تذكر في جنبها الغرامة التي دفعتها فرنسا اليها . فقبلما نشبت الحرب تهدَّدت الصحف الالمانية فرنسا بان المانيا ستأخذ منها الفي مليون جنيه لا مئتي مليون جنيه كما اخذت سنة ١٨٧١ فلا يبعد ان يؤخذ هذا المال الطائل من المانيا الآن اذا دارت الدائرة عليها فتفتقر وتزاد الضرائب على شعبها وانجاح الصناعي والفقر لا يجتمعان في بلاد . وللالمان اموال طائلة ومصالح كبيرة في فرنسا وبلجكا وبريطانيا وروسيا فيفقدون جانباً كبيراً منها . واذا انحطت الصناعة الالمانية عن المقام الرفيع الذي بلغتهُ بارت مصنوعاتها وضرب الفقر اطنابهُ في البلاد فيضطر ملايين من السكان ان يهاجروا الى اميركا والمستعمرات الانكليزية

والمسألة الآن هل يصبر الالمان على الضيم ويواصلون الحرب الى نهايتها ام يخرجون على امبراطورهم . وهذا الخروج محتمل وقد يكون على وجهين فيحتمل انهُ اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني في معركة كبيرة جداً تخرج الولايات الجنوبية عن الاتحاد الالماني وتمتنع عن مواصلة الحرب مع الامبراطور . والظاهر من خطبة ملك باڤاريا ان هذا الخروج ليس بعيد الاحتمال ويحتمل ايضاً ان ينهض الشعب الالماني كلهُ ويخرج على حكامهِ لان الفريق الاكبر من الشعب غير راضٍ عن الحكومة والمتعلمون المتنورون لا يرضون ان يحكموا كالاولاد . وما دامت البلاد في رخاء لا يصعب على شعبها الرضوخ للحكم الاستبدادي المموَّه بغشاء دستوري ولكن اذا حلَّ بها الضيق وضعف شأن الحكومة تمزق غشاء التمويه ولذلك اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني فالمرجح ان الشعب ينهض ويطلب حكومة مقيدة كالحكومة الانكليزية او حكومة جمهورية ولا يبعد ان يخلع الامبراطور وولي عهدهِ لان لهما اليد الطولى في اثارة هذه الحرب ويأبى ان يكون ملوكهُ في المستقبل من آل هوهنزلرن

قد تضيق مساحة المانيا وقد ينتثر سكانها ولكن الشعب الالماني شعب حي نشيط والبلايا تنهض الهمم وتشحذ الاذهان . وما اضعف هذا الشعب في الماضي الا السياسة الحربية الاستبدادية التي جرى عليها حكامهُ فاذا تملص منها فالمرجح انهُ لا تمضي عليهِ سنون كثيرة حتى يعود الى مقامهِ الاول بين شعوب الارض ويصير شعباً جمهورياً مسالماً كسكان بريطانيا وسكان الولايات المتحدة الاميركية ويجاريهم في ميدان الحضارة وحينئذٍ يتحقق الحلم الذي يحلم بهِ البعض وهو اتحاد الشعوب الجرمانية الثلاثة

لكن اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني فالمرجح ان الامبراطور ينزل الى ميدان القتال ويحارب حتى يقتل ويحتمل ان يقع في الاسر او يلجأ الى بلاد اخرى وكيفما كانت الحال لا ينتظر ان يعود الى عرشهِ ولا ان يعامل بالتؤدة لان هذه الحرب التي اثارها جريمة لا تقتصر ضد المانيا وضد نوع الانسان والعمران عموماً

وضرر هذه الحرب بالنمسا اشد من ضررها بالمانيا لان المانيا لا تفقد الا حصتها من بولونيا وسكانها ٣٥٠٠٠٠٠ والبلاد التي اصلها لفرنسا والدنمارك . واما بلاد النمسا والمجر وسكانهما ٥٣٠٠٠٠٠٠ فليس فيها من الشعب الجرماني الا ١٢٠٠٠٠٠٠ ومن الشعب المجري الا ٨٠٠٠٠٠٠ ولكن فيها ٣٠٠٠٠٠٠٠ من السلاف فتخسر حصتها من بولونيا وعدد سكانها ٥٠٠٠٠٠٠ وتأخذ روسيا منها البلاد التي سكانها روثنيون وهم ٣٥٠٠٠٠٠ وينضم صربها الى الصرب وعددهم ٥٠٠٠٠٠٠ ورومانيوها الى رومانيا وعددهم ٣٠٠٠٠٠٠ وايطاليوها الى ايطاليا وعددهم ١٠٠٠٠٠٠٠ وحينئذٍ تعود بولونيا مملكة كبيرة سكانها ٢٠٠٠٠٠٠٠ ويصير سكان رومانيا ١٠٠٠٠٠٠٠ وسكان الصرب ١٠٠٠٠٠٠ . ويحتمل ان يبقى امبراطور النمسا متسلطاً على ما يبقى من مملكتهِ ويحتمل ايضاً ان يحل بآل هبسبورغ ملوك النمسا ما يحل بآل هوهنزلرن ملوك بروسيا

اما الدول الاخرى بريطانيا وفرنسا وروسيا فاذا عقد النصر لها اخيراً فانها لا تلبث ان تسترد ما خسرتهُ فبريطانيا تسترد صناعتها وتجارتها وتوسعاتها وفرنسا تعود الامة العظيمة La Grande Nation كما كانت وروسيا تتدرج بتحريرها بولونيا الى ان تصير بلاداً دستورية بالفعل

والفوز الاكبر والغنيمة العظمى اذا عقد النصر لحلفاء هو في تغلب المذاهب الدستورية العملية الشائعة في انكلترا وفرنسا على المذاهب الاستبدادية الحربية الشائعة في المانيا وفي ما ينتج عن ذلك وهو تقليل النفقات الحربية وابطال الحروب اخيراً ولو مدة نصف قرن

الحرب وتجارة القطر المصري

ما دامت الحرب ناشبة فتجارة القطر المصري من صادر ووارد مع المانيا والنمسا في حيز العدم واما تجارتهُ مع سائر البلدان فتبقى على حالها من اكثر الوجوه . وقد ابنا في الجدول التالي قيمة اهم ما يصدر من القطر المصري في السنة الى المانيا والنمسا ومجموع ما يصدر الى غيرهما من البلدان وذلك كلهُ بالجنيه المصري وبالتقريب

	المانيا	النمسا والمجر	سائر البلدان
الحيوانات والمواد الحيوانية	٩٠٠٠	١٣٠٠٠	٢٧٥٠٠٠
الجلود والمصنوعات الجلدية	١٣٠٠٠	٢٨٠٠٠	١٩٤٠٠٠
سائر المواد الحيوانية	٠٤٠٠٠	٠٩٠٠٠	٤٠٠٠٠
الحبوب والقطاني وبزرة القطن	١٥٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٠٣٤٠٠٠٠٠
السكر والصمغ	٥٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
زيت لطن وسمك	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
خرق وورق وكتب	٠٥٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠
حنا	٠٠٠٠	٠٥٠٠	٣٤٠٠٠
عقاقير طبية الخ	٤٠٠٠	١٥٠٠	١٣٠٠٠٠
قطن ومنسوجات	٢٤٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠٠
مواد معدنية	٠٥٠٠	١٥٠٠٠	١٨٠٠٠٠
مواد اخرى	٥٠٠٠	٠١٠٠٠	١٠٠٠٠٠
سيكار	٨٥٠٠٠	٤٥٠٠٠	٣٧٠٠٠٠
والجملة	٤ ٤٦٠٠٠	١٧١٧٠٠٠	٢٧٩٨٣٠٠٠

فالمانيا والنمسا تشتريان من القطر المصري في السنة ما ثمنهُ نحو خمسة ملايين وسبع مئة الف جنيه وسائر البلدان تشتري منهُ ما ثمنهُ نحو ٢٨ مليون جنيه . واهم ما في ذلك كلهِ القطن فالمانيا والنمسا تشتريان منهُ بنحو اربعة ملايين من الجنيهات فاذا استمرت الحرب سنة اخرى فلا يحتمل ان المانيا والنمسا تشتريان منهُ شيئاً ولكن لا يبعد ان اميركا والهند واليابان تشتري جانباً من القطن الذي كان يرسل الى المانيا والنمسا

هذا من حيث الصادرات اما الواردات فثمن ما يرد منها الى القطر المصري من المانيا والنمسا اقل من ثمن ما يصدر منهُ اليهما وهو قليل جدًّا في جنب ما يستورده من غيرهما كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا الثمن فيهِ بالجنيهات المصرية وبالتقريب ايضًا لان الصادر والوارد لا يكونان دائمًا على معدَّل واحد

	المانيا	النمسا والمجر	سائر البلدان
حيوانات ومواد حيوانية الاصل	٧٠٠٠	١٤٠٠٠	١٠٥٠٠٠
جلود ومصنوعات جلدية	٢٥٠٠٠	٤٠٠٠٠	٠٣٢٠٠٠
مواد اخرى حيوانية	٠٢٠٠٠	٠١٥٠٠	٠٠٧٠٠٠
حبوب وطحين	١٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠
سكر وبن وشاي الخ	٠٠٩٠٠٠	٣٣١٠٠٠	٠٨٠٠٠٠
خمور وسمك وزيت	٠٣٠٠٠٠	٠٣٥٠٠٠	١٣٠٠٠٠
ورق وكتب	٠٥٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٠٢٥٠٠٠
خشب وفحم	٠٩٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٣٤٠٠٠٠
حجارة وزجاج	٠٥٠٠٠٠	١١٠٠٠٠	٠٤٥٠٠٠
اصباغ	١٠٠٠٠٠	٠٠٧٠٠٠	٠١٥٠٠٠
ادوية ومواد كيماوية	٠٦٠٠٠٠	٠٤٠٠٠٠	٠٢٥٠٠٠
منسوجات	٠٣٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
معادن ومصنوعات معدنية	٥٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
مواد مختلفة	١٩٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠
سيكار وتبغ	٠٠٠٦٠٠	٠١٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠
والجملة	١٢٦٣٦٠٠	١٨٦٨٥٠	٢٤٣٤٠٠٠

اي انهُ يرد الى القطر المصري من المانيا والنمسا بضائع في السنة بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولا صعوبة في الاستغناء عنها كلها اذا اقتصد القطر في نفقاتهِ على ما ذكرنا في مقالة سابقة . وعليهِ فالحرب قلَّ تؤثر في القطر من هذا القبيل ولا خوف من انهُ يتعذَّر عليهِ جلب ما يحتاج اليهِ من سائر البلدان الداخلة في الحرب لان تجارتها لم تنقطع ومعاملها لم تقف ولكن الخوف الكبير هو من ان هذه البلدان تقلل ما تشتريهِ منهُ فانها تشتري ما ثمنهُ عشرون مليون جنيه كما ترى في هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	روسيا	بلجكا
حيوانات ومواد حيوانية	٢٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	١٠٠	٠٠
جلود ومواد جلدية	٢٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	١٥٠	٤٠٠٠
بزرة قطن وحبوب	٢٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠
سكر وصمغ	٠٠٢٠٠٠٠	٠٢٠٠٠٠	٠٠٢٠٠	٠٥٠٠
قطن	١٢٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠
سكاير	٠٠٦٠٠٠٠	٠٠٢٥٠٠٠	٥٠٠	١٤٠٠٠
والجملة	١٥١٠٠٠٠٠	٢٧٣٥٠٠٠	٢١٤٠٩٥٠	١٠٣٥٠٠

فما تشتريه بلجكا من القطن المصري طفيف لا يعتدّ به ويبقى ما تشتريه انكلترا وثمنهُ ١٥ مليون جنيه وما تشتريه فرنسا وثمنهُ مليونان و٧٣٥ الف جنيه وما تشتريه روسيا وثمنهُ اكثر من مليونين و٢١٤ الف جنيه واكثر ما تشتريه هذه البلدان هو القطن وبزرتهُ فان لم تقلّ مقطوعيتها منهما فالحرب لا تؤثر فينا تأثيراً يذكر ولكن لا بدّ من ان تقل مقطوعيتها من القطن فوق ما يحتمل من الهبوط في سعره وهو العمدة في صادرات القطر كما لا يخفى

فاذا طالت الحرب بضعة اشهر اخرى او سنة او اكثر كما يظن البعض اضطرّت البلدان المحاربة ان تقلل ما تشتريه من القطن وغيره واذا قللت ما تشتريه من القطن المصري عشرين في المئة او ثلاثين في المئة فالرأي الشائع الآن ان ما لا تشتريه يكسد عندنا ويبقى الى العام المقبل . اما نحن فلا نظن الامر كذلك لان غازلي القطن الاميركاني لا يتعذر عليهم ان يغزلوا القطن المصري بمغازلهم والانوال التي تحوك القطن الاميركاني لا يتعذّر عليها ان تحوك القطن المصري كما لا يتعذر على المغازل والانوال ان تغزل وتحوك القطن الاميركاني الجيد اذا جاد في بعض السنين ودقّت شعرتهُ وطالت . ولا يبقى بين القطن المصري والقطن الاميركاني الجيد الاّ فرق الثمن . وكان متوسط هذا الفرق غالباً ستة ريالات فاذا هبط الى اربعة ريالات او الى ثلاثة فالمرجح عندنا ان الغزالين والنساجين يفضلون قنطار القطن المصري على قنطار القطن الاميركاني . والمجال واسع لاستعمال موسم القطن المصري لان الموسم الاميركاني يتراوح بين ١٣ مليون بالة و١٦ مليوناً اي بين ٦٥ مليون قنطار و٨٠ مليون قنطار فمحصول القطن المصري كلهُ يساوي نصف الفرق بينهما

سامراء الحديثة

١ نبذة في احوالها

ان سامراء قد فقدت حضارتها الغابرة في العصور الدابرة فاندثرت معالمها وقصورها واندرست مدارسها ومعاهدها الا انها لا تزال الى اليوم بلدة جليلة الشأن عامرة آهلة بالسكان ففيها من الابنية الفخمة والآثار الخالدة ما يبقى ذكرها حيًّا على الالسنة ومسطورًا على صفحات التواريخ . وهي الآن على ربوة ارتفاعها عشرون مترًا عن سطح دجلة وتبعد عن شاطئ الايسر مسيرة ربع ساعة . وامامها من جهة الشمال والغرب منبسط من الارض تموج فيه الاطلال الدوارس موج المياه في البحار الزواخر . وهي باجمعها من بقايا التمدن العباسي . ويحيط بها اليوم سور رصين له اربعة ابواب وقد اقيمت ابراج محكمة في جهات السور الاربع على الطرز القديم . وكان السكان يتحصنون بها دفعًا لغارات الاعراب وصدًّا لهجماتهم وغزواتهم . وهو كما يظهر من مواد بنائه قديم العهد ولكنه قد تجدد انشاؤه في القرن الماضي واختلف الرواة في من جدده فقال بعض الشيوخ المعمرين ان امرأة احد ملوك الهند الشيعيين واسمها «مركالا» زارت سامراء في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة لمشاهدة مدافن الائمة فيها فادركت ما يحيق بهذه المدينة المقدسة في نظرها من الاخطار وجادت ببلغ طائل من المال لتشييد سور يحميها من عوادي الغازين فاقامت احد العلماء فيها رقيبًا على البناء . ومن قائل ان الذي عمره هو الميرزا زين العابدين السامي وذلك حوالي سنة ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م وكانت النفقات من جيب احد فضلاء الهند . وعلى كل فهو مأثرة خالدة اذ كان السبب الوحيد لبقاء سامراء رائعة في بحبوحة من الامن والسكون مدة قرن من الزمان فاتسعت دائرة عمرانها وكثرت فيها المنازل والفنادق وسكنها اقوام من العرب والفرس والهنود والاتراك . ويبلغ سكانها الآن زهاء عشرة آلاف نسمة ثلثاهم من الاعراب . وهم ينقسمون الى سبعة افخاذ لكل منهم رئيس ينظر في شؤونهم وينوب عنهم في اعمالهم العامة . وقد اتخذت الحكومة سامراء مركز قضاء من اعمالة مدينة تكريت القديمة ودجيل المشهورة بارطابها واعنابها

ومهنة اهالي سامراء الاشتغال بزراعة الحبوب على اختلاف انواعها واكثرهم فقراء لضيق ذات ايديهم ورداءة آلاتهم الزراعية وانعكافهم على القديم البالي وكثيرون منهم

يعيشون من فضلات الزائرين السائحين وما تجود به أكفهم في سبيل الوقوف على الآثار الدارسة والاطلال الطامسة التي تنطق بما كان للامة العربية من الحضارة مما لم يتيسر لامة من الامم مجاراتها ومضاهاتها فيه على عهد زهوها . ومذهب السكان مذهب اهل السنة والجماعة الا ان التشيع قد انتشر فيهم اخيراً وذلك يرتقي الى ٥٠ عاماً . ولا تزال بيوتات كثيرة تدين بمذهب الشيعة وتجاهر بعقائدها على رؤوس الاشهاد

وليس في سامراء بساتين واشجار كما في غيرها من مدن العراق وحواضره وتأتيها الفاكهة من اعناب وارطاب وليمون ورمان وخوخ واجاص من دجيل ونواحيها . الا ان البطيخ الاخضر والاصفر كثير فيها لشدة اعتناء الاهلين بزراعته وبراعتهم في تعهده واصول سقيه

٢ وصف مسجد الامامين

يطوف المرء في شوارع سامراء المتعرجة وازقتها المملوءة بالاوساخ والاقذار فلا يجد فيها من البنايات ما يستوقف الابصار ويستلفت الانظار غير مسجدين عظيمين هما من احسن مساجد العراق زينة واكثرها زخرفة وتزويقاً واجملها هندسة وتنسيقاً واحفلها بالاثار النادرة التي تفيد التاريخ خدمة كبرى وتظهر للسائح ولع الشيعة باقامة الابنية حول قبور آل البيت النبوي وسخاءهم في بذل الجهد والنضار وكل طارف وتليد لتزويقها وتلوينها والمبالغة في تحسينها وتزيينها بالمآذن والقباب المغشاة بالذهب الابريز . الاول المسجد الذي لحد فيه الامامان علي الهادي وحسن العسكري وهو فسيح الاطراف واسع الاكناف اقيمت فيه ابنية شامخة فائقة الصنع شائقة الوضع ويدخل الى المسجد من باب فخم عليه طاق عال مبني بالحجر القاشاني وملون بانواع الاصباغ البهجة ويحيط بفناء الجامع سور رفيع الاركان راسخ البنيان وجهه من الداخل من الحجر القاشاني ومن الخارج من الاجر المشوي وارتفاع السور قراب ١٥ متراً وطوله ٨٠ متراً في عرض يناهز ٦٠ متراً . وفيه اواوين محكمة الصنع ركبت عليها طيقان معقودة بالقاشاني وجدار السور مؤزر الى ارتفاع باعين بالرخام السماقي اللون . وفناء المسجد كله فضاء واسع فسيح الارجاء مفروشة ارضه بالرخام الابيض الناصع في وسطه بركة ماء جميلة تقرب منها بئر بعيدة الغور . وفناء الجامع يحيط بالروضة المقدسة التي فيها قبور الائمة الكرام وامام الروضة صفة جميلة مبلطة بالمرمر وهي محكمة البناء بديعة الشكل مرصعة بقطع من المرائي النفيسة على اسارب يأخذ بمجامع القلوب ويدخل الى الروضة من باب عليه القومة والحجاب معقود لوقة طاق شاهق

والباب المذكور من الشبه بديع الصياغة مما يبهر الناظر ويسر الخاطر وقد كتب على

اطرافه ابيات فارسية بخط نفيس ونقش عليه باللغة العربية ما نصهُ : هو الواقف على الضمائر قد وقف هذا الباب المستطاب طلباً لوجه الله وابتغاء لمرضاته الى حضرة الامامين سيدنا ومولانا الامام علي الهادي والامام حسن العسكري صلوات الله عليهم اجمعين . مكي سلمان بن مكي داود بن كرسي التاجر الخوجه ساكن زنجبار وكان ذلك في السابع والعشرين من شهر رجب سنة الالف والمائتان والثانية والتسعين . اه . اي سنة ١٨٧٥ ميلادية

وهذا الباب يؤدي بالداخل الى رواق جميل فرشت ارضهُ بالرخام الابيض وغشي جدارهُ بالمرمر الى ارتفاع مترين وما فوق ذلك مرصع بقطع المرائي على نقش بديع واسلوب شرقي يدهش الناظرين وسقف الرواق معقود بالقاشاني ومرصوف بالزجاج وهو مقسم الى طاقات مقوسة جميلة الصنع والرواق يحيط بالروضة احاطة السوار بالمعصم . وهو خاص بالزهاد والزاهدات والمتعبدين والمتعبدات والمنقطعين الى عبادة الله والمنقطعات . ويدخل الى الروضة « الحرم » من بابين متجاورين في ركنها الشرقي وهما من الساج مصفحان بالشبه منقوش عليهما نقوش بديعة وقد كتب فيها بعض الآيات القرآنية والابيات الفارسية . وصنعتها من ابدع ما رأيناهُ في معاهد العراق الدينية . وقد اظهر فيها النقاش براعة عجيبة ومهارة غريبة . وعلى جانبيها سهوات لطيفة بديعة الشكل مرصعة بالزجاج ترصيعاً هندسياً يقل نظيرهُ . وقد كتبت ابيات من الشعر العربي بحرف واضح وطرز فاخر على رخامة بيضاء ناصعة زاهية بنقوشها والوان اطرافها وهي تمتد في اعلى البابين المذكورين وتشير الى مشيد هذا الركن من الروضة ومزينها فالذي كتب على الباب الذي يكون عن اليمين للخارج من الروضة هذه الابيات

محل قد سما شرفاً عليّا ... به الاملاك ساجدة جثيّا
محل قد حوى هادي البرايا ... نزاهُ والامام العسكريا
تضوّع عن شذى منهُ استعارت ... جنان خلودها الارج الذكيا
غدت اكنافهُ تزهو بجامٍ ... يشيم اللحظ بارقهُ المضيا
يروق نضارهُ ويفوق معنى ... ويحلو منظراً حسناً بهيا
بناهُ ذو المكارم والمساعي ... فخاز المجد والفخر السنيا
مخيف (١) فاز بالقدح المعلى ... وكان لفوزهِ قمناً حريا

(١) مخيف رجل من مشاهير العلماء العراقيين وأكابر موسريهم لا يزال سلفاً يقطن الكاظمية وله فيها وفي غيرها املاك واسعة وله شغف عظيم بالاحسان الى معاهد آل البيت

موالي آل حيدرة وطنه فطوبى للذي اضحى وليا
وفي سنن الولاء المحض ارخ مخيف شاده حرماً زكيا
١٣٢٧

وقد كتب على الباب بماء الذهب ايضاً ابيات تماثل هذه معنى

وداخل الروضة شيء يدهش العقول بجمال هندسته واتقان بنائه وما فيه من التزيينات الفاخرة التي يجود بها سخاء الشيعة الديني وهي مربعة طول كل ضلع منها عشرون متراً وفي كل ركن ايوان مقوس قد رصع بالمرائي النفيسة وجدار الروضة مغشى بالرخام الذي بولغ في تزيينه وتحليه الى ارتفاع مترين وما فوق ذلك مرصوف بقطع كبيرة وصغيرة من الزجاج مقطوعة على رسوم هندسية وقد رصعت على طراز فارسي بمازجه ذوق عربي يسحر الالباب ويسبي العقول وما فوق ذلك كتابات محيطة بالروضة كتبت باصباغ زاهية واكثرها من الكتاب الحكيم . ويعلو الحرم كله قبة شاهقة مغشاة من اسفلها الى اعلاها بالذهب الوهاج يذهب سنا نورها بالابصار ويبلغ ارتفاع القبة من اسفلها الى سطح الحرم زهاء ٣٠ متراً ومحيطها قرابة ٦٠ متراً . وباطن القبة الذي هو سماء الحرم مغشى بقطع المرائي على طرز يعجز الكاتب عن وصفه مهما كان بليغاً فصيحاً . وفي وسط الروضة مشبكان الاول من الساج وهو الذي يكون عن الشمال وفيه ثلاثة قبور الاول قبر الامام علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم ولد في المدينة سنة ٢١٤ هـ = ٨٢٩ م وسبب خروجه منها وشخوصه الى سر من رأى ان عامل المتوكل العباسي على المدينة ونائبه فيها عبدالله بن محمد سعى بابي الحسن علي الهادي الى المتوكل قاصداً اذيته فكتب المتوكل الى الامام يثني له في القول ويستدعيه اليه على حيل من القول والفعل فلبى الهادي دعوة الخليفة وقدم عليه في سامراء فافرد له داراً حسناء الى ان توفي فيها سنة ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م وهي الآن المسجد الخالي الذي فيه قبره وآل بيته . ويعد هذا الامام العاشر من الاثني عشر اماماً المعصومين والثاني قبر ابنه الامام حسن العسكري المولود سنة ٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م والمتوفى سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م وهو الامام الحادي عشر والثالث قبر زوجته نرجس خاتون وهي ام الامام محمد المهدي صاحب الزمان . والمشبك الثاني مصنوع من الشبه وهو الذي يكون عن اليمين وفيه قبر واحد عليه امتار الحرير والديباج وفيه رمم حليمة خاتون بنت الامام محمد الجواد واخت علي الهادي . وقد علق على المشبكين من ادوات الزينة كالمعلقات

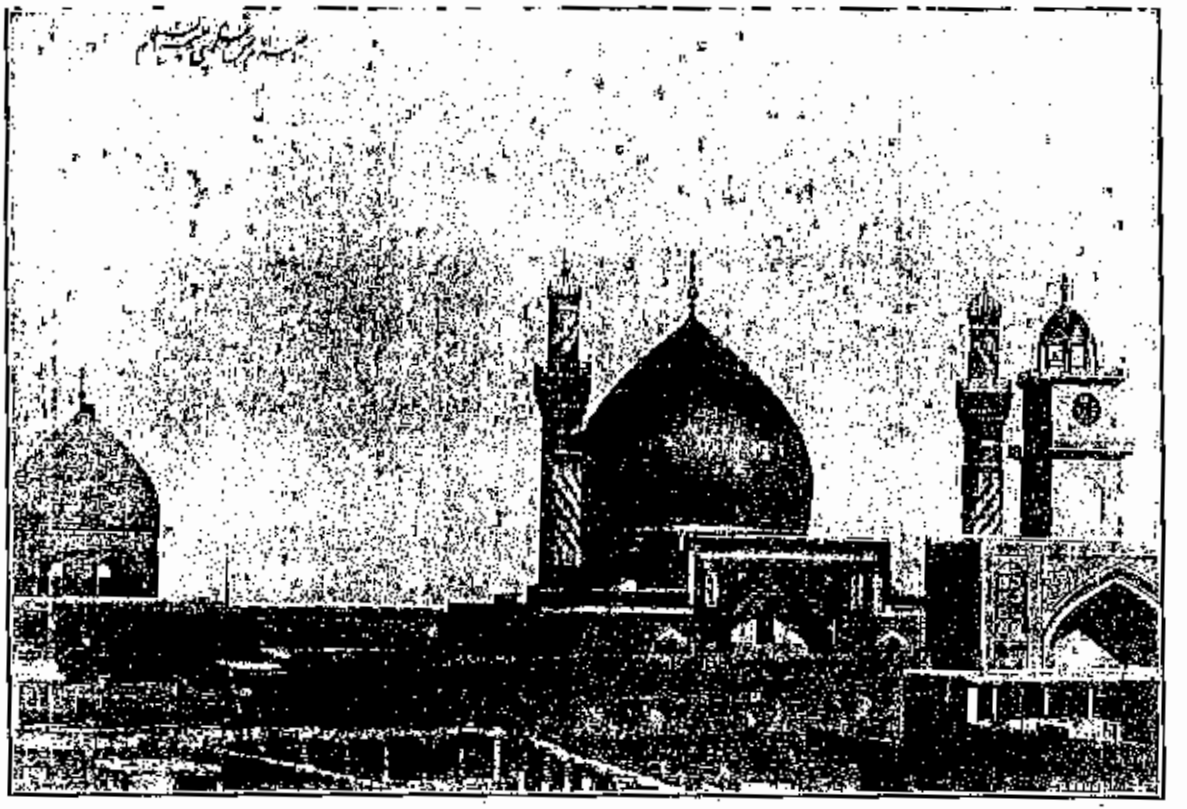

روضة الامام حسن العسكري

المقتطف صفحة ٣٧٦ مجلد ٤٥

الثمينة والتحف البديعة والآنية الذهبية والفضية شيء كثير وبالجملة ان ما في داخل الروضة من انواع البهجة والزخرفة ورائق الصنعة يحير الالباب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها . وللمسجد عدا ما تقدم مأذنتان على طرز مآذن العراق بنيتا بالحجر القاشاني وساعة دقاقة كبيرة ركبت على برج شاهق حول باب السور الخارجي ترى من اماكن قاصية

٣ تاريخ عمارته

تعاقب على قبور آل البيت في سامراء اطوار مختلفة تبعاً لسياسة الدولة التي تسلط على العراق العربي فان كانت شيعية بالغت في اكرامها وتعظيمها وان كانت سنية فان المحافظة عليها واكرامها يتوقف على حسن سياسة القائمين بشؤون تلك الدولة . ومن توفق الى مثل تلك السياسة الرشيدة كسب مرضاة خمسين مليوناً من الشيعة في الهند وفارس وبخارى وخيوه والقوقاس وسورية والعراق . وقد لاقت هذه المعاهد الدينية ما يلاقيه كل شيء في هذا الوجود من ذل وعز واهانة وتعظيم فذاقت مر الزمان وحلوه . وكانت في ايام الامامين دار سكن لهما قدفنا فيها واقيمت بعد ذلك الابنية التي تختلف بفخامتها وضخامتها حسب اختلاف العصور وسياسة الدول فيها . ويرتقي زمن المبالغة في تشييدها الى عهد آل بويه فانهم لم يدخروا وسعاً في اقامة الصروح الفخمة حول قبور الائمة في النجف وكربلاء وسامراء . وكانت ايام استيلاء الدولة الايلخانية على العراق في القرن الثامن واخضاع الدولة الصفوية لهذه الاصقاع في القرن التاسع لعمارة مباني سامقة لا تقل حسناً وزخرفة عما هي عليه الآن ولكنها لم تكن على هذا الطرز والوضع . وظل الشيعة يكتبون في مشارق الارض ومغاربها لنفقات اعمارها الى ان تمكن القائمون بها من الشروع باقامة هذه الصروح على الطرز الحالي من بناية القباب والمآذن وعمارة الروضة وغيرها وقد استقدموا لذلك امهر الصناع والعملة من فارس والصين وبعض الاصقاع التي اشتهر صناعها ببراعتهم وكفاءتهم . والذين بدأوا في عمارة المسجد ثلاثة رجال — وهم احمد خان وحسن خان وحسين خان وكان لهم مقام رفيع في الدولة الفارسية وبعضهم احرز رتبة الوزارة فيها كما يظهر من الكتابات التي نقشت على الجدران في هذا المسجد . وقبور هؤلاء الامراء ظاهرة في اول ايوان من جهة الرواق الغربية وهو الديوان الملاصق للباب المؤدي الى داخل الحرم وهناك ثلاث رخامات كتب عليها ابيات فارسية وتمر باللغة العربية تشير الى ما جادوا وبذلوا في سبيل التقرب من العلويين . ولا يزال القراء والعلماء يتلون على مدافنهم القرآن صباح كل يوم ولهم على ذلك

مشاهرات يتقاضونها رأس كل شهر . وكان التعمير برعاية الحاج ميرزا محمد السلماسي المتوفى سنة ١٢١٩ هـ = ١٨٠٤ م اي كان زمن العمارة في عهد ولاية الوزير سليمان باشا الكبير على العراق . وكان في الجهة الغربية من الرواق قبور بعض الخلفاء العباسيين منهم المعتصم مؤسس سامراء والمتوكل وغيرهما وقد خربها الميرزا محمد المار الذكر يوم شرع في العمارة ولذلك لا يعرف لها اليوم اثر يدل عليها . ويقال انهُ فعل هذا الامر مدفوعاً بدافع الانتقام من العباسيين الذين غصبوا الخلافة من العلويين بعد ان عاهدوهم على ارجاعها اليهم خصوصاً من المتوكل الذي ضيق الخناق على الشيعة وطاردهم في الآفاق وامر بهدم قبر الحسين في كربلاء وحرث ارضهِ واسالة الماء اليهِ . فكأن الميرزا اراد ان يقابل المتوكل بالمثل فاهان التاريخ اهانة عظمى بعملهِ وهو ابادة اهم الآثار التاريخية التي تتنافس في المحافظة على امثالها كل امة متمدنة وكل انسان يعرف قدر العلم والآثار

وآخر ما قام بهِ سلاطين الشيعة وملوكها وامراؤها واعيانها من اكرام المعاهد المقدسة عندهم تجديد الشاه ناصر الدين سلطان العجم لبعض الابنية في هذا المسجد وترميم قبابهِ واروقتهِ وزواياهُ . وبامرهِ طليت القبة الكبرى التي تغطي الحرم بالذهب الابريز وهي اكبر قبة في مساجد العراق المعاصرة وقد انفق من النضار على تغشيتها بالذهب ما يناهز ٥ الف جنيه ولا يزال اسم هذا الشاه العظيم مسطوراً بماء الذهب على الابنية التي شادها وكان ذلك بين سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ م وسنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م وكان الرقيب على التعمير والتزيين الميرزا محمد باقر السلماسي . وكثيرون من الاغنياء والموسرين في الهند والقوقاس وفارس والعراق اقتدوا بهذا الملك الجليل ولكن اسم اكثرهم لا يزال خاملاً بالنسبة الى سخاء ناصر الدين وجودهِ الذي لم يكن مقصوراً على معاهد سامراء بل تناول معاهد النجف وكربلاء والكاظمية ونهُ السبق في هذا المضمار الذي ينبعث عن تدين صادق وايمان متين ولا ريب فان تلك عادة قديمة متأصلة في ملوك فارس القدماء والمحدثين ودفاعهم عن مشاهد آل البيت اشهر من ان يذكر فكثيراً ما خاضت فارس غمرات حروب ضروسة مع الدولة العلية واجتاحت العراق العربي لحماية ما فيهِ من الاماكن المقدسة لدى الشيعة . وكان السلاطين في فارس حينما يعقدون المعاهدات يطلبون من ملوك آل عثمان ان يتعهدوا لهم بوقاية البقاع المقدسة من الاضرار وحمايتها من الاخطار قبل ان يعترفوا لفارس باستقلالها . وكثيراً ما قدم البند المتعلق بحماية قبور العلويين على البند الذي تعترف فيهِ تركيا باستقلال فارس اي ان العناية بتلك المدافن اثمن عندهم من العناية باستقلالها . وهذا شيء لم يسمع بهِ في الدول الاخرى

٤ مسجد الامام المهدي واقوال الشيعة فيه

فرغنا من وصف مسجد الامامين وما فيه من التزيينات الفاخرة والآثار النادرة والآن نبدأ بوصف المسجد الثاني وهو مسجد الامام محمد المهدي بن الحسن العسكري وقبل الخوض في وصفه نشرع في بسط معتقد الشيعة بهذا الامام توطئة لما سنذكره

يعتقد جمهور الشيعة ان الامام محمداً المهدي هو ابن الحسن العسكري وكنيته ابو القاسم ولقبه الحجة والمهدي والقائم والمنتظر ولد سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م ويقولون انه دخل السرداب في دار ابيه بسُرَّ من رأى وامه تنظر اليه فلم يعد اليها وكان عمره تسع سنين وذلك سنة ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م على خلاف فيه ويقال انه ظهر بعد هذه الغيبة بخمسين عاماً ثم اختفى وهي الغيبة الكبرى التي لا تنتهي الا بظهوره في آخر الزمان . وهو عندهم الآن لا يزال حياً يرزق كعيسى ابن مريم عليهما السلام والخضر وسيخرج لتأييد الاسلام ورفع قواعده ونشره في الكرة حتى لا يبقى فيها احد لا يصدق به وانه يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويوردون احاديث يسندونها الى النبي ولكن اهل السنة ينكرونها ويعتقدون تلفيقها الا ان الشيعة لا يلتفتون الى ما يورده السنة من البراهين على بطلان هذا الرأي . ولا يزال الامامية متشوقين الى خروج المهدي من السرداب الذي غاب فيه ولذلك تجدهم كلما نزلت بهم كارثة علقوا انفسهم بظهور الامام واسترجاع البلاد والاقطار على يديه والانتقام من الامم الفاتحة التي لم ترع لهم حرمة ذلك كان شأنهم حينما اخضع الانكليز ديار الهند واكتسح الروس القوقاس وبخارى وبقية الاصقاع الشاسعة

اذا طاف المتفرج في مسجد الامامين واتجه الى زاوية المسجد الغربية يجد جداراً حاجزاً بينه وبين مسجد اخر يدخل اليه من باب الى فناء اصغر من اخيه ولكنه على طرزه ونمطه من حيث البناء والترتيب والهندسة والصنعة . وقبل ان تدخل اليه من ذلك الباب تجد امامك بئراً يحتال بها خدام الحضرة على البلداء والمغفلين من الزوار بان يطلعوا فيها قمراً بازغاً لا يأفل مدى الليل والنهار ويروون لهم في هذا الصدد ان نرجس خاتون ام المهدي اطلت يوماً على قعر البئر فقطر من ثديها قطرة من اللبن فكان من تأثيرها هذا القمر المنير والجامع روضة الا انها دون روضة الامامين من حيث النقش والتزويق والتزيين وامامها صفة مفروشة ارضها بالرخام وكذلك جدارها الادنى فانه موزر به الى ارتفاع مترين وما فوق ذلك بني بالحجارة القاشانية وسقف الصفة قائم على دعائم من الساج ويدخل اليها من باب لصقت في اعلاه رخامة كتب عليها شعر فارسي معناه : ان محمد علي شاه صاحب الشوكة والعظمة وفاتح الممالك وزينة

المجالس والمحافل قد اتى ليدون له اسماً في هذه الحضرة المقدسة بان يشيد اركانها ويجدد بناءها ليخلد له ذكراً طيباً على مدى الدهور . وتحت ما تقدم تاريخ البناء وهو سنة ٦٢٥ هـ = ١٢٢٨ م ثم تدخل الى رواق جميل مبني بالرخام ويكون تجاهك مسجد صغير تقام فيه الصلاة والى جانب بابه باب اخر تهبط منه الى مرداب فيه ١٣ دركة وتمشي مسافة عرضها خمس درجات ومنها تنحدر الى ست دركات الى فرجة بين عقدين وتطالعك من برزخ الى بهو صغير ليس فيه شيء من ادوات الزينة والجمال ولكنه ضخم هائل محكم البناء قوي بحجارته الرخامية ويكون عن يسارك غرفة مظلمة مفروشة بالرخام وكذلك جدارها وسقفها وهي خاصة بالزهاد وارباب التقى وفي اقصى البهو مخدع مظلم انيرت فيه الشموع الكبيرة والقناديل الفضية وله باب من خشب الصندل كتب على اطاره مما يلي الارض بنقش نفيس ما هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له حسناً ان الله غفور شكور» ثم ترى كتابة ابتداؤها من اسفل الاطار صاعدة الى اعلاه وانتهاؤها الى اسفله وهذا نصها : «هذا ما امر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين الذي طوى البلاد احسانه وعدله وغمر العباد فضله قرن الله اوامره الشريفة باستمرار النجح والبشر وباظهار التأييد والنصر وجعل لايامه المخلدة حداً لا يكبو جواده ولآرائه الممجدة سعداً لا يجبو زناده في عز تخضع له الاقدار فتطيعه عواصيها وملك تخشع له الملوك فتملكه نواصيها بتولي المملوك سعد بن الحسين بن سعد الموسوي الذي يرجو الحياة في ايامه المخلدة ويتمنى انفاق بقية عمره في الدعاء لدولته المؤيدة استجاب الله ادعيته وبلغه في ايامه الشريفة امنيته» اه . وقد حفر على عتبة الباب هذه العبارة : «من منة سنة مائة وست هلالية وهو حسبنا ونعم الوكيل» اه . وعند العتبة من جهة اليمين مما يلي الارض ثقب بمقدار ما تدخل فيه الكف يعتقد اهالي سامراء ان ابا العباس احمد الناصر لدين الله الخليفة العباسي المولود سنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م والمتوفى سنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م هو الذي ثقبه لكي يرمي فيه كل من اراد ان يدفع عريضة الى صاحب الزمان المنتظر ولا يزال باقياً على وضعه الى هذا العصر

ومساحة المخدع مترانِ طولاً ومتر عرضاً وثلاثة امتار ارتفاعاً . وفي جهة اليمين قرب الباب نفق لا يزيد عمقه على مترين ونصف متر وعرضه متر ونصف مستدير الاطراف وهو المرداب الذي يقولون ان الامام المهدي قد غاب فيه . يقصده الشيعة من

ديار قاصية لزيارته والتوسل الى الغائب فيه ان يعجل بالظهور وقد المع ابن بطوطة في رحلته الى هذا السرداب فقال عنهُ انهُ المشهد الذي غاب فيه المهدي وذكر موضعاً مثل هذا في الحلة من مدن العراق فقال ان القوم يزعمون ان المهدي غاب فيه ووصف طوافهم فيه فمن اراد الاطلاع عليه فليراجع رحلة ابن بطوطة — ج ٢ ص ١٣٢ — طبعة افرنجية . وقد ركب على هذا السرداب من فوق قبة شاهقة منشأة بالحجارة القاشانية وسمكها من سطح السرداب الى اعلى ذروتها قرابة ٢٠ متراً ومحيطها يناهز ٤٠ متراً وقد ظهر فيها مواضع صدع ويقال ان الشيعة شرعوا يكتتبون لتجديد بنائها وتشييد اركانها وطلائها بالذهب الوهاج

هذا موجز ما يمكن ان يقال عن سامراء وما فيها من المساجد والمعاهد في هذا العصر وربما نعقد فصلاً آخر في بقايا قصور الخلفاء والآثار القديمة فيها ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

بغداد ابرهيم حلمي العمر

بحث في البكتيريولوجيا[1]

(تاريخ العلم ونشأته)

يراد بالبكتيريولوجيا العلم الذي يبحث عن الاحياء الدنيا التي لا ترى الا بالمكرسكوب . هذا العلم حديث النشأة لم يشتغل به العلماء بهمة الا في القرن الماضي وقد ساروا فيه خطوات واسعة نظراً الى اهميته في الطب والزراعة والصناعة وسائر العلوم

لم يكن العلماء قبل ثلاثة قرون يعرفون شيئاً عن هذه الاحياء الدنيا . واول من لفت نظرهم الى ذلك بطريقة علمية على ما يُقال عالم يسوعي[2] كان ذا المام بعلم الكيمياء وفن العدسيات المكبّرة قبل مائتين وخمسين سنة تقريباً فانهُ شاهد بمكرسكوب بسيط ديدانا صغيرة في اللحوم المتعفنة وفي اللبن والجبن فظن ان التعفن وانتشار الامراض ناتجان عن مثل تلك الديدان الصغيرة . فلم يمض زمن طويل على هذا الرأي حتى جاء لوفنهوك[3] واكتشف

(١) البكتيريولوجيا Bacteriology كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين (Bakterium عصية و Logos علم) ويراد بها علم الاحياء الدنيا

(٢) هو اتانسيوس كرخر (Athanasius Kircher) العالم الالماني عاش (١٦٠٢ — ١٦٨٠)

(٣) هو انطون فان لوفنهوك (Anton Van Leeuwenhoek) الهولندي ولد في بلدة دلفت وعاش (١٦٣٢ — ١٦٧٣) كان من المشتغلين بالابحاث المكرسكوبية ومن اشد المعارضين للقول بالتولد الذاتي وله اكتشافات نافعة منها الدورة الدموية في الاوعية الشعرية وقد انتخب عضواً في الجمعية الملكية بلندن سنة ١٦٨٠

الاحياء الدنيا سنة ١٦٨٣ بعد ان تمكن من عمل اول مكرسكوب قوي . وقد عُرِفَ ذلك من كتاب بعث به الى الجمعية الملكية بمدينة لندن وكانت قد اسست منذ سنة ١٦٦٢ قال فيهِ « رأيت عجباً في مزيج من اللعاب وقلاح الاسنان عند البحث فيهِ مكرسكوبيًّا فاني شاهدت احياء صغيرة كانت تتحرك بسرعة غريبة في اللعاب ويسبح اكبرها فيهِ كما يسبح السمك في البحر » . وقد وقع اكتشاف لوفنهوك هذا وقعاً عظيماً في نفوس العلماء يومئذٍ اذ كان علم البكتيريولوجيا في اول نشأته والناس لا يعرفون منهُ شيئاً

وبعد ان اثبت لوفنهوك وجود هذه الاحياء الدنيا اشتغل بتجارب قليلة نافعة لمعرفة التعفن واسبابهِ وقال انه اذا تركنا مادة آلية في الماء زمناً ما فانها تتعفن وتتصاعد منها روائح كريهة ناشئة عن وجود احياء صغيرة تسبب التعفن . ولاحظ في هذه التجارب ان عمل تلك الاحياء يقلُّ اذا تركت المادة الآلية معرضة للهواء الجاف الحار مدة من الزمن ويعود كما كان اذا اعيدت الى الماء اي ان الاحياء المذكورة لا تُعدَم بمجرد تعريضها للجفاف كما كان يزعم كثيرون من العلماء حينئذٍ

ثم نشأ في القرن الثامن عشر طبيعي فرنسوي يدعى بوفون (١) كان من اشهر كتّاب فرنسا وقال ان الاحياء المسببة للتعفن تنشأ من المادة الآلية اي تتولد منها تولداً ذاتيًّا ولا تأتي من الخارج . فجاراه طبيب انكليزي يدعى نيدهام معضداً لرأيهِ سنة ١٧٤٩ بعد تجربة اخذ فيها خلاصة من اللحم ووضعها في زجاجة صدها سداً محكماً والصق سدادتها بقليل من المصطكي لمنع الهواء وعرّضها لحرارة مرتفعة لتقتل ما فيها من الاحياء ثم اختبر ما فيها بعد ذلك مكرسكوبيًّا فشاهد آلافاً من الاحياء الدنيا ظن انها نشأت من الخلاصة نفسها

ولكن العالم اسبلنزاني (٢) اثبت خطأ هذا القول فانهُ اعاد التجربة باتقان ولم يكتفِ بسد الزجاجة والصق سدادتها بالمصطكي بل سدها سداً هرمسيًّا وتركها في الماء الشديد الحرارة زمناً وبعد اختبار ما فيها مكرسكوبيًّا لم يجد اثراً للاحياء الدنيا فجزم بخطإ الرأي الاول خطإ في اجراء التجربة وقال ان تطرّق الاحياء الى الخلاصة كان بواسطة الهواء

---

(١) هو بوفون (Buffon) الطبيعي والكاتب الفرنسوي الشهير ولد في منبارد وعاش (١٧٠٧ — ١٧٨٨) وقد الف تاريخاً طبيعياً في الحيوانات ذوات الاربع

(٢) هو لازارو اسبلنزاني (Lazaro Spallanzani) العالم الايطالي ولد في اسكاندياني وعاش (١٧٢٩ — ١٧٩٩) وكان استاذاً للتاريخ الطبيعي والفلسفة في جامعات مختلفة وساح في سيسيليا وجهات اخرى سياحات علمية نشر ابحاثهُ بها وله فضل كبير في علم الحياة

لاستحالة التولد الذاتي . وكان رأيهُ هذا ردًّا على كثير من علماء ذلك العصر الذين كانوا يعتقدون ان التولد الذاتي ممكن . ذلك الرأي القديم الذي دفع ڤرجيل[1] المؤرخ الايطالي الى ان يذكر في كتاباته « اننا لو اخذنا ثوراً ميتاً وضربناهُ بعصاً وتركناهُ في مكان مقفل مدة من الزمن لتولد منهُ جيش من النحل يمكن الانتفاع بعسلهِ » . على انهُ لو نعلم ذلك لحصل على جيش من الذباب غير متولد من لحم الثور بل من بويضات الذباب الذي تهافت على جثتهِ

ان امثال هذه الخرافات تنشأ في كل زمن من اهمال اهلِ البحث وعدم تدقيقهم في النظر والمشاهدة . ولكن الحقائق العلمية لا تعدم انصاراً كاسلنزاني المذكور آنفاً وكثيرين غيرهم من الباحثين امثال أهرنبرج[2] وشوان[3] وكوهن[4] وكيغار لاتور[5] الذين عاشوا متابعين البحث يكتشفون حقيقة بعد اخرى ويتدرجون في هذا العلم حتى جاء زمن پاستور[6]

پاستور والبكتيريولوجيا — بعد من تقدَّم من الباحثين في البكتيريولوجيا جاء عصر پاستور فنهض بابحاث هذا العلم نهضة كبرى توفق فيها توفقاً لم يسبق لاحد غيرهم . كان پاستور شغفاً بالعلم ومثابراً على العمل في خدمة الانسانية عموماً وفرنسا خصوصاً فقد اكتشف اموراً نافعة نتجت منها نتائج كبيرة

---

(١) هو پوليدور ڤرجيل (Polydore Vergil) المؤرخ الايطالي المشهور ولد في اربنو وعاش (١٤٧٠ — ١٥٥٦) وكان يراسل اراسمس دارويتن

(٢) هو اهرنبرج (Ehrenberg) العالم الطبيعي الالماني ولد في بلدة دلمن وعاش (١٧٩٥ — ١٨٧٨) اشتغل بدرس الطب وبرع في الابحاث المكرسكوبية وله اكتشافات نافعة في البكتيريولوجيا والتاريخ الطبيعي

(٣) هو شوان (Schwann) الطبيعي الالماني اشتغل مع آخر يدعى شيدن (Schleiden) في سني ١٨٣٨ و ١٨٣٩ وفسرا ان الحيوانات والنباتات الراقية مؤلفة من اجسام خلوية وله آراء في الخلية وتكونها

(٤) هو كوهن (Cohn) النباتي الالماني عاش (١٨٢٨ — ١٨٩٨) وكان من اشهر الواضعين للبكتيريولوجيا

(٥) هو كيغار لاتور (Caignard Latour) العالم الطبيعي الفرنسوي ولد في باريس وعاش (١٧٧٧ — ١٨٥٩)

(٦) هو لويس پاستور (Louis Pasteur) الفرنسوي الشهير ولد في ليون وعاش (١٨٢٢ — ١٨٩٥) وينسب اليهِ معهد الاكتشافات في باريس الذي كان كعبة العلماء والباحثين في عهدهِ ولا يزال كذلك الى الآن

كان الناس قبل زمنه يظنون ان الاختمار مسبب عن تغيرات كيماوية او طبيعية فأثبت بالدليل فساد هذا القول وبيّن ان الاختمار ناتج عن احياء دنيا مسببة لهُ واثبت ان المواد الآلية تتعفن وتفسد بهذه الاحياء الواصلة اليها من الهواء فانهُ اذا منع الهواء عنها لا يتطرق اليها فساد

اشتغل باستور بابحاث مختلفة خدم بها هذا العلم وحلّ بها كثيراً من المسائل العويصة : ففي سنة ١٨٥٧ بحث في الاختمار وجلا اسبابهُ واثبت ان الشادر والحامض اللبنيك والحامض الزبديك ومركبات اخرى قد تنتج عن عمل احياء دنيا مخصوصة تتطرق الى المواد الآلية كالبول واللبن والسمن مثلاً وليست ناتجة عن تغيرات كيماوية او طبيعية في المواد المذكورة . وسنة ١٨٦٢ اجهز بادلته القاطعة على القول بالتولد الذاتي ذلك الرأي القديم الذي شغل عقول العلماء قبلهُ السنين الطوال

وسنة ١٨٦٣ بحث في كيفية انتشار الامراض الوبائية وتفشي العدوى بتفشي المكروبات[1] وفي اختمار النبيذ واسبابهِ . وسنة ١٨٦٥ بحث في مرض كان شديد الفتك بدود الحرير في بلاده وقد سبّب لها خسائر فادحة فعرف ان ذلك المرض ناتج عن حيوان دنيء من نوع البروتوزوى فوقف على حياتهِ وتوفق لمقاومتهِ ومنع ضررهِ بطريقة انقذت فرنسا مما اصابها وخلدت ذكرهُ . وسنة ١٨٧١ اخذ يبحث في اختمار البيرة . وسنة ١٨٧٧ عاد الى درس الامراض الوبائية وطرق مقاومتها بالتلقيح وذلك بسبب تفشي مرض الجمرة الخبيثة في فرنسا وروسيا حتى نفق بهِ من البقر والغنم في بلاد الروس نحو ستين الفاً في سنتين . اما طريقتهُ في مقاومة هذا المرض فهي انهُ ربى مكروب الجمرة الخبيثة في بيئات صناعية على درجة حرارة الدم (٣٧° سنتيغراد) ولقح بهِ خراوفَ فماتت عن آخرها فعرف من هذه التجربة ان موت بعض الخراف كان مسبباً عن الجمرة الخبيثة التي دخل مكروبها في دمها نشطاً قوياً . فاعاد التجربة ليصل الى تلقيحها بمكروب المرض ضعيفاً حتى لا يفتك بها فربى المكروب على درجة من الحرارة اشد من الاولى (٤٣° سنتيغراد) وهي الدرجة التي يمكن ان يبقى فيها المكروب حيّاً متكاثراً . ثم لم يكتفِ باضعافهِ بذلك بل تركهُ اسبوعين قبل استخدامهِ في التلقيح وبعد ذلك تلقح بهِ اغناماً كثيرة فبدت عليها اعراض المرض خفيفة ولكنها لم تمت ثم زالت عنها

(١) اول من اعلن كثافة مكروب (Bacterie) على البكاتن الصغير الحجم موسيو (Sedillot) العالم الفرنساوي وذلك سنة ١٨٠٠

تلك الاعراض وزال المرض بعد زمن يسير وبذلك اصبحت مصونة ولو دخلت بلاداً كان المرض متفشياً فيها

ان طريقة التلقيح لمقاومة الجدري كانت معروفة قبل پاستور اي منذ سنة ١٧٩٦ اكتشفها جنر(١) الطبيب الانكليزي بالتجربة البسيطة لان المكروب لم يكن معروفاً يومئذٍ. ولكن هذا الامر لا ينقص من فضل پاستور العظيم فان حياته العملية كانت سلسلة اكتشافات نافعة للانسانية والعلم

اخذ پاستور بعد السنوات الاولى من حياته العملية يبحث عن سبب كثرة وفيات النساء بحمى النفاس عقب الولادة فعرف انها نتيجة عدوى مكروب مخصوص . وكان كثيرون من الاطباء الفرنسويين قد اشتغلوا في عهده بالبحث عن السبب المذكور فاعلن كل منهم رأيه في ذلك في مجتمع طبي كبير حضره پاستور وكان الحق في جانبه دونهم فالجمهم في المناقشة وبيّن خطأهم واعلن ان سبب العدوى من الاطباء والممرضات لان مكروب حمى النفاس ينتقل بواسطتهم من امرأة مريضة الى اخرى سليمة وحتم بوجوب النظافة اثناء الولادة . وبعد ان كشف السر في ذلك واشار بمقاومة المرض بالقاء عدواه قلّ عدد الوفيات بحمى النفاس حتى اصبحت الحمى المذكورة لا تصيب الاّ واحدة او اثنتين في الالف بعد ان كانت تصيب مائة الى مائتين في الالف

كانت اعمال پاستور نافعة جداً وعاملاً مهماً في ترقية الطب ومقاومة الامراض الوبائية التي تصيب الانسان والحيوان او التي تنتقل من الحيوان الى الانسان كداء الكلب مثلاً وامراض اخرى كثيرة

وقد تابع اعمال پاستور في حياته وبعد وفاته كثيرون من العلماء مثل لستر(٢) الجراح الانكليزي الشهير فانهُ اشتغل بها في بلاده على نسق پاستور واتت اعماله بفوائد كبيرة . ومثل رو(٣) تلميذ پاستور الذي خلفهُ واكتشف اموراً نافعة اهمها علاج الدفتيريا بالمصل

---

(١) هو ادوارد جنر Edward Jenner الطبيب الانجليزي ولد في مركلي وعاش (١٧٤٩ – ١٨٢٣) واكتشف تلقيح الجدري ولم يعلنهُ رسمياً الاّ سنة ١٧٩٦ وقد كافأهُ البرلمان فاعطاهُ ٣٠٠٠٠ جنيه

(٢) هو لورد لستر (Lord Lister) الجراح الانكليزي ولد في بلدة اپتن وعاش (١٨٢٧–١٩١٢) تعلم في جامعة لندن ونبغ في الجراحة فكان مكتشفاً طبياً وبكتيريولوجياً كبيراً وينسب اليه التعقيم في الجراحة

(٣) هو رو (Roux) الطبيب الفرنسوي المبلد پاستور ولد في كنفرلانس سنة ١٨٥٣

كوخ[1] والبكتيريولوجيا — نهض كوخ بالبكتيريولوجيا في اواخر القرن التاسع عشر فسار بها شوطاً طويلاً كما سنورد وتمكن من فصل مكروب الجمرة الخبيثة سنة ١٨٧٦ في بيئات صناعية خالية من كل مكروب آخر واثبت انهُ هو سبب المرض المذكور دون غيره. فتمكن بذلك من اكتشاف الوسائل لمقاومته . وقد ساعد كوخ على فصل مكروب هذا المرض ما كان قد وصل اليهِ العلم اذ ذاك بتحسين المكرسكوب واكتشاف اصباغ الانيلين ففصل اولاً مكروب الجمرة الخبيثة على ما سبق وبرهن على انهُ مسببها

ثم اكتشف مكروب التدرن سنة ١٨٨٢ وفصلهُ وبرهن على انهُ سبب مرض السل. واكتشف مكروب الكوليرا سنة ١٨٨٣ بعد سياحة علمية وفد فيها على مصر والهند سنة ١٨٨٢ وكانت الكوليرا قد فشت في الديار المصرية في السنة المذكورة وتوفي بها ١٦٨٠٠ في اربعين يوماً وكانت الوفيات اليومية ٥٣٣ في كثير من الايام

ثم تقدمت البكتيريولوجيا كثيراً وكثرت الاكتشافات يوماً بعد يوم بواسطة المعامل البكتيريولوجية التي يهتم بترقية شؤونها فحول العلماء والاطباء فعرفت اسباب امراض كثيرة فتاكة كالحمى التيفودية والكزاز او التتانوس والملاريا والزهري وغيرها وعرفت طرق مقاومة كثير منها بانواع المصل المختلفة

نعم لا يمكن القول بان العلم وصل الى غايته ولا بان الاكتشاف أتى على كل شيء فامامنا الآن امور كثيرة لا نعرفها ولم نهتدِ الى طرق معرفتها. فكثير من الامراض يسببهُ مكروبات لا نستطيع رؤيتها باقوى المكرسكوبات مثل الجدري والحمى القلاعية وطاعون الدجاج وغيرها ولكن الامل كبير بتقدم العلم وارتقاء البحث لادراك كل غاية

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) روبرت كوخ (Robert Koch) البكتيريولوجي الالماني الشهير ولد في مدينة كلوستال في مقاطعة هانوفر بالمانيا (١٨٤٣ — ١٩١٠)

باب المراسلة والمناظرة

* قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاً رحيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ المجلة في ما يدرج فيه على اصحابه فضل براءة منه كلهِ . ولا تدرج ما خرج عن موضوع المقتطف وتراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من أصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

المقتطف والشفاء بلا دواء

حوى جزء آب (اغسطس) فوائد جليلة . وقد استحسنت غاية الاستحسان ملاحظاتكم على اخبار النفاة . وممّا اعجبني غاية الاعجاب مقالتكم البديعة « افتئات المشرق على المقتطف ودرس في الاخلاق » . فلقد اتيتم فيها من الادلة البديعة على صدق كلامكم ما يشهد لكم بهِ العدو والصديق . وقد طالعت ايضاً ما كتبتموهُ في عنوان الشفاء الغريب فان اغلب تعليلاتكم صحيح لكن قولكم «كل الاحجبة والاضرحة والمياه المقدسة لا تصلح رئة اكلها السل او معدة اتلفها السرطان او مخّ خرقهُ التيفويد » . . . تدل على ان تعليلاتكم قاصرة اذ قد تحقق هذا الامر والظاهر انكم لم تقرأوا ما يحدث في لورد من الاعاجيب والمعجزات . فان شهادات الاطباء الماديين على عدم شفاء المرض او المريض الفلاني لوجود ما اشرتم اليهِ فيهِ من الادواء تنقضت اتم النقض عند وقوع الحقيقة . ما قولكم في ذلك

بغداد احمد القراء

[المقتطف] قولنا في ذلك ما قالهُ المعري

جاءت احاديث ان صحت فان لها شأناً والاّ ففيها ضعف اسناد
فشاور العقل لا تبغي بهِ بدلاً فالعقل خير مشير ضمهُ النادي

ونعني بالعقل خلاصة اختبار الناس فاذا دلّ اختبارهم دلالة قاطعة على ان النظر الى زهر البنفسج يشفي من السل والسرطان ويحول الرجل امرأة والامرأة رجلاً فلا سبيل لانكارهِ لان هذا الشفاء وهذا التحويل ليسا مستحيلين لذاتهما . والباحثون عن الحقائق

يقولون في هذه الامور وانتم هاتوا شهودكم ان كنتم صادقين . ولكن متى جاء الشهود انتقلت المسألة الى دور آخر هو عدالتهم اي صدق شهادتهم . اذا شهد شاهد انهُ رأى زيداً يقتل عمراً في اليوم الفلاني والساعة الفلانية وشهد عشرة شهود انهم رأوا زيداً في مدينة اخرى في ذلك اليوم وتلك الساعة وكانت الادلة على عدل الشاهد الاول والشهود العشرة واحدة اضطرَّ كل قاضٍ في الدنيا ان يأخذ بشهادة العشرة . ويعلل فساد شهادة الاول حينئذٍ بانهُ خُيِّل لهُ ان القاتل هو زيد وهو غيرهُ او انهُ خُدع باسلوب آخر هذا اذا كنا نعتقد انهُ صدق اي شهد بما يعتقد صحتهُ

وقد مرَّ علينا الآن اكثر من اربعين سنة ونحن نبحث عن صحة ما يروى مما يخالف اختبار الناس فثبت لنا ان كثيرين ينظرون الى الامور غير المألوفة على وجوه مختلفة فزيد يراها على شكل وعمرو على شكل آخر وكلٌّ منهما مخلص صادق في التعبير عمَّا رآهُ او اعتقدهُ وبعض الناس ميالون الى الانخداع وتصديق ما لا حقيقة لهُ ولا يستثنى من ذلك العلماء والاطباء والفلاسفة ورجال الدين . والذين بحثوا في ما يروى عن عجائب نورد واطلعنا على ابحاثهم مجمعون على ان الذين استشفوا بها على انواع نوع كان مرضهُ وهماً فزال الوهم باعتقاده انهُ لقي ما يشفيهِ ونوع كانت تنقصهُ قوة تؤثر في عقلهِ الباطن تأثيراً ينهض خلايا دمهِ البيضاء لمقاومة الميكروبات فنهضت وقاومتها وتغلَّبت عليها فشفي . ونوع لم يشفَ ولكنهُ اعتقد انهُ شفي . ثم ان الذين يشاهدون المرضى بعد شفائهم يرى بعضهم الامور على حقيقتها في عرفنا وعرف الجمهور فيقول ما نقولهُ ويقولهُ الجمهور . ويتوهم بعضهم صحة ما لا صحة لهُ فيحسب ان زيداً من الناس انسد ميكروب السل رئتيهِ ثم نمت لهُ رئتان جديدتان لانهُ زار سيدة نورد او شرب من مائها فكنا لا نظن ان عدد هذا البعض كثير . ومع ذلك فاذا ثبت ثبوتاً علمياً ينفي كل ريب ان شرب ماء سيدة نورد ينمي يد الاقطع وانف الاجدع واذن الاصلم ويشفي من السل والسرطان ويحول القمح تفاحاً والتفاح فيراناً فانا اول من يصدق ذلك كلهُ ويبقى صحيحاً الى ان يثبت نقيضهُ . ولو صحَّ كل ما ادعاهُ الناس في كل العصور عن عجائب الاحجبة والاضرحة والمزارات وما اشبه او لو صحَّ عشر معشارهِ لاستغنينا عن علم الطب وكل العلوم والفنون ولبقي الناس كلهم احياء ولم يمت منهم احد ولا مرض منهم احد . وكفى بذلك داعياً للعاقل ليقف وقفة المرتاب في كل ما يقال من هذا القبيل

الاخلاق

جناب الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

في جوابكم لعبد الوهاب افندي الزوبي عن الاخلاق قلتم ان الاخلاق الفطرية الاولى ليست من الفضائل بل يولد الطفل وفي دقائقه الكذب والاحتيال والسرقة وما ماثلها من الخصائل المرذولة تنمو وتتأصل فيه كما شب ونما. ولكن اسمحوا لي ان اقول بانني قرأت كثيراً من اقوال العلماء في علم الاخلاق والطبيعة البشرية واختبرت الامر بنفسي بدرس اخلاق الاطفال في نعومة اظفارهم فتحققت ان الطفل يولد وهو مبني على كل الخصائل الحسنة بريء في طبيعته سليم في نيته ثم تفسد اخلاقه كما مرّ عليه يوم في معاشرته من حوله. فهو يكتسب الشرور من محيطه ولا يرثها من والديه ولا تولد معه وفي الكتاب المقدس ان الله خلق الانسان على مثاله فمن البعيد ان يمثل الله الانسان بنفسه ان كان كما ذكرتم

فالطفل يولد سليماً نقياً طاهراً بعقله ونفسه والوسط هو العامل الاكبر في تركيب المزايا وتقويم الاخلاق او افسادها والاخلاق نفسها ليست وراثية بل يشب الطفل بحسب محيطه. فان كان لديكم تحليل اخر تكرموا علينا به ولكم مزيد الفضل

مصر عزيز كريديان

[المقتطف] اذا امعنتم النظر على ما كتبناه وجدتم انه لا ينطبق تماماً على ما فهمتموه منه . والذي ذكرناه هو الصحيح حسب ما وصل اليه بحث جمهور علماء الاخلاق حتى الآن وقد يحتمل انهم كانوا يقولون غير ذلك في الماضي ويحتمل ان بعضهم لا يقول به الآن ولكننا اذا سئلنا عن امر ذكرنا الرأي الاشهر فيه الآن وما ذكرناه هو الراي الاشهر

الاحلام وتعليلها

لقد احسنت مجلة المقتطف في تفنيد آراء القائلين باتصال العالم الجسدي بالعالم الروحي اذ قالت : ان هذا الاتصال ليس مستحيلاً لذاته ولكن لا يصح ما يقال فيه ما لم تقم الادلة العلمية على صحته . ثم وجهت بعض الحوادث التي اوردها انصار ذلك المذهب توجيهاً حسناً وارجعت كثيراً منها الى ما يثبت بطلانها وخداع اصحابها او انخداعهم بها مما اعجب به كل قراء المجلة على اختلاف الطبقات والنزعات

وما احسن تعليلها لحادثة حلم الاستاذ اغاسز الطبيعي الذي اهتدى الى تصوير سمكة

متحجرة في قطعة من الصخر في نومه بعد ان اعياهُ تصويرها في يقظته اذ قالت : ان استنتاج اغاسز العقلي في نومه قد يصل اليه في يقظته اذا كان دماغهُ مستريحاً كما وصل اليه وهو نائم وبعضها من المحفوظات في خزائن الدماغ التي ينساها المرء وهو مستيقظ كثير الاشغال ثم يتذكرها بعد ان ينام ويستريح دماغهُ فيحلم بها وهو يحسب انهُ لم يكن يعرف بها من قبل . اه

قلنا وكثيراً ما يتفق لارباب الاشغال العقلية امثال حوادث الاستاذ اغاسز ومن جملتها حوادث اتفقت لي يوم كنت تلميذاً في المدرسة الاعدادية فقد كنت ايام الامتحانات السنوية اذا اجهدت عقلي ودماغي بالاشتغال والمطالعة وعسر عليَّ حل بعض الغوامض من المسائل الطبيعية والرياضية وجاء وقت المنام واضطجعت مفكراً فيها فتمت اجد كأني اكشف غامضها في الحلم فاستيقظ فجأة وادون ما علق بذهني على القرطاس فاذا اصبح الصباح وعرضت ما كان على الاستاذ استغرب مني ذلك غاية الاستغراب فامثال هذه الحوادث تثبت لي صدق المقتطف وهو ان الاستنتاج العقلي قد لا يتيسر في اليقظة حين يكون الدماغ منهوك القوى مثلما يتيسر في النوم عند ما يهدأ البال ويستريح الدماغ من الاشغال

على اني قد عرضت لي حوادث كثيرة كادت تضطرني الى التصديق باتصال الارواح على الرغم من شدة اشتباكي بمذهب المقتطف منها القصة التالية . ذهبت في السنة الماضية الى البصرة تاركاً احد الاقارب مريضاً في بغداد . وبينما كنت اتناول الغذاء صباحاً على مائدة احد الاعيان شعرت باضطراب عقلي حتى كأني انتقلت من عالم الى آخر فخيل لي ان المرض اشتد على ذلك القريب وانام اهلهُ بطبيب اجرى لهُ عملية جراحية كانت نتيجتها انصرام حبل حياته . وظلت الوساوس آخذة مني كل مأخذ نحو ١٥ دقيقة فامتنعت عن الاكل لضيق في صدري واسرعت الى غرفتي لتدوين ما عرض لي في مذكرتي وكان ذلك في اليوم الثاني من صفر السنة الحالية . ولما قدمت بغداد علمت ان الرجل توفي متأثراً من عملية جراحية جريت لهُ في ذلك اليوم الذي صادف اني اضطربت فيه وشعرت بموته

ثم جرت لي حادثة اخرى وهي اني تركت شقيقة لي على فراش الموت في دارنا عند الغروب وذهبت لزيارة احد الاصدقاء وكان الطبيب قد اخبرنا ان الفتاة لن تموت قبل مضي خمسة ايام ولكني ما استقر بي الجلوس حتى شعرت باضطراب يشابه اضطرابي في الحادثة الاولى فمثلت لي شقيقتي كأنها ميتة والاهل يندبون ويعولون وبقيت مضطرباً قلقاً زهاء عشر دقائق . وقد استغرب مني الحاضرون هذا الاضطراب فاخبرتهم بالقصة نخصاً ولي لانهم عرفوا ما قالهُ الطبيب وقالوا ان هذا من نتائج اشتغال عقلك بالتفكير فيها ولكن بقيت مصراً

على الاعتقاد بحدوث وفاتها فما كان من الحاضرين الاَّ ان بشروا من يستطلع الخبر وكانت المسافة بعيدة بين الدار التي كنا فيها وبين دارنا فجاء الرسول واخبرنا بنعاها وعندئذٍ بهت الحاضرون واخذوا يذهبون كل مذهب كلٌّ على حسب اعتقاده ودرجة عقله

وكلما اردت ان اوجه ذلك الى غير اتصال العالم الجسدي بالعالم الروحي خفق مساعي ونقض عقلي ما اريد ان ابرهن عليهِ فما عسى ان يقول المقتطف في توجيه هاتين الواقعتين وهما من اغرب ما وقع لي

بغداد ابرهيم حلمي العمر

[المقتطف] ان كنتم قد دونتم الحادثة الاولى في مذكرتكم هي وتاريخها فراجعوا ما كتبتموهُ وارسلوا لنا صورتهُ فانا نرجح انهُ لا ينطبق على ما حدث . وقد اتفق لنا نحن ايضاً ان قرأنا مكتوباً مرسلاً من سيدة وهي مسافرة في البحر ذكرت فيهِ حلماً حلمتهُ في سفرها . وقد رسخ في ذهننا حينئذٍ من مكتوبها ان الحادثة التي اشار الحلم اليها منطبقة على الحلم تمام الانطباق فكتبنا مقالة في هذا الموضوع وجمعت حروفها لتنشر في المقتطف ثم خطر لنا قبل نشرها ان نراجع مكتوب تلك السيدة ثانيةً فراجعناهُ واذا الصورة الراسخة في ذهننا من قراءتهِ لا تنطبق على ما في المكتوب . وما في المكتوب ليس فيهِ من الغرابة عشر ما في الصورة التي كانت في ذهننا

هذا من حيث الحادثة الاولى اما الثانية فشعوركم فيها من الامور العادية حتى لو بقيتم امام المريضة لاوجستم في كل لحظة انها تحت الخطر مهما قال الطبيب . ولا نظن ان مريضاً مرض الاَّ وارجس ذووهُ انهُ في خطر الموت مع ان الانسان يمرض من حين ولادتهِ الى حين مماتهِ مئات من المرات ولا يموت الاَّ مرةً واحدة فلا عجب اذا صدق حسبان المرء مرة في المئة وهو يعلم ان كل نفس ذائقة الموت

مشاهدة طبية غريبة

يخرج طالب الطب من المدرسة بعد اتمام دراستهِ فيظن انهُ عرف كل شيء . والحقيقة غير ذلك لانهُ لا يكاد يمارس الطب في الخارج حتى يرى ما لم يرَ من المشاهدات الغريبة التي يحسن بهِ ان يدرسها لكي يستفيد منها . ومن المشاهدات الغريبة التي شاهدتها ما يأتي :

جاءني يوم ٢٧ يونيه سنة ١٩١٤ طفل يدعى ابرهيم عبد الخالق من قرية اجهور الكبرى بمركز قليوب يبلغ من العمر ٨ سنوات تقريباً نحيف القوام اصفر اللون يشكو من ورم في بطنهِ ولم استطع ان احصل لا منهُ ولا من والدهِ على شيء يصح ان اذكرهُ كتاريخ للمرض

سوى تورمٍ بوجود الورم منذ عشرين يوماً تقريباً . فحصت الطفل فوجدت ورماً في الجزء العلوي من البطن فوق السرة متحركاً . صلب القوام . غير منتظم الشكل . وغير ملتصق بالجدار المقدم من البطن . ولم استطع ان اعين حدوده تماماً . ولم يكن الجلد فوقهُ متغيراً . وبالقرع وجدت اصمية في القسم المعدي . وبالضغط كان يحس بأريز لم اعرف تعليله . ولم يشكُ المريض من قيء او اسهال او امساك او ألم . وكانت حالتهُ العمومية جيدة . وليس عندهُ ارتفاع في الحرارة مطلقاً . فادخلتهُ المستشفى في ذلك اليوم ولاحظتهُ لغاية ٤ يوليه سنة ١٩١٤ ثم اوفق لتشخيص المرض فحضّرتهُ لعملية استقصائية . وفتحت البطن يوم ٥ يوليه سنة ١٩١٤ . وكان معي حضرة الدكتور عبد الوهاب وهي مفتش صحة مركز قليوب فوجدت ان المعدة جميعها متحجرة لوجود ورم فيها كان فيها كما يكون القالب داخل الجزمة اي متخذاً شكلها وسادّاً فراغها . وشققت المعدة للتحقق مما هو بداخلها فوجدت فيها جسماً اسود خشن الملمس غير ملتصق بالجدار المعدية ومغطى بقليل من مشمول المعدة فاستخرجتهُ ولم اكابد صعوبة في استخراجهِ . واتممت العملية بخياطة جرح المعدة وجرح البطن ثم فحصت الجسم المستخرج من المعدة فاذا هو بشكل الباذنجان الاسود لولا ان طرفهُ الدقيق يستدق شيئاً فشيئاً حتى ينتهي بشكل فرفلي . وهو مكوّن من شعر اسود كشعر الخيل متماسك ومغطى بمواد غذائية من مشمول المعدة كما ذكرت . وطولهُ ٤٥ سنتيمتراً . وكان الطرف الغليظ عند فتحة الفؤاد . والطرف الدقيق عند الفتحة البوابية . وكان بعض هذا الطرف داخلاً في الاثني عشري . وبذلك شغل الجسم كل تجويف المعدة . ويحيط دائرتهِ عند الطرف الغليظ ٢٠ سنتيمتراً . وعند الانحناء ١٥ سنتيمتراً . وقد ارسلت هذا الجسم ليحفظ في متحف مستشفى القصر العيني . اما المريض فسار في طريق الشفاء بدون ان يطرأ عليهِ شيء من المضاعفات بالنكبة . واتماماً للفائدة اقول اني اعطيتهُ يوم ١١ يوليه عشر ورقات من الزئبق الحلو والبنزونفتول كانت كل ورقة تحتوي على سنتغرامين من الزئبق و٣ من البنزونفتول . وكان يأخذ كل ساعة ورقة . وذلك بنية اسهالهِ وتطهير امعائهِ فشوهدت ٦ ديدان من النوع المعي بالاسكارس في براز . وقد تم شفاؤهُ واخرج من المستشفى يوم ٢١ يوليه سنة ١٩١٤ وها هي صورتهُ بعد الشفاء . وقد دُشت في الكتب الطبية التي بين يدي فلم اعثر على مثل هذه المشاهدة وحادثت كثيرين من زملائي فلم يمكنهم افادتي عن سبب تكون هذا الجسم الشعري في المعدة بهذه الطريقة . الا ان حضرة الدكتور سليمان عزمي الطبيب بمستشفى القصر العيني اخبرني انهُ رأى فيما رأى في متحف النكبة الجراحية

المقتطف صفحة ٣٩٢ مجلد ٤٥

المنكية بلندن كرة من الشعر استخرجت من امعاء ثور وكان حجمها كبيراً . وعلل هذا الزميل ايضاً وجود هذا الشعر بابتلاعه وقال انهُ كثيراً ما تبلع المرضى الشعر في احوال الهستريا لكني لم اشاهد عن المريض شيئاً من علامات هذا المرض . فهل لحضرات الزملاء ان يمدوني بافكارهم في طريقة تكون هذا الجسم في المعدة

الدكتور محمد عبد الحميد
طبيب مستشفى قليوب

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكل تدرج فيوكل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

السوس A. Licorice, F. Reglisse, L. Glycyrrhiza Glabra يعرف عند العامة بعرق السوس وهو جذر نبات من الفصيلة القرنية اسطواني الشكل املس ومن الباطن اصفر طوله عدة اقدام وطعمهُ حلو غير قابض يستعمل ملطفاً وملينا للصدر يؤخذ نقيعاً بنسبة ١٥ — ٦٠ كراماً في ليتر ماء وتحلى به المسهلات المحية فيخفي طعمها الكريه وهو افضل محل يزيل كراهة الملح الانكليزي : ويستخرج منهُ خلاصة تعرف بروب السوس تجبل بها الحبوب الدوائية ويؤخذ في النزلات الصدرية ملطفاً للسعال ولبحة الصوت في الالتهاب الحنجري

ومن اشهر مستحضراته مسحوق السوس المركب وهو مؤلف من

مسحوق جذر السوس	٦٠	كرام
مسحوق السنا	٦٠	«
كبريت مكرر	٣٠	«
مسحوق الشمر	٣٠	«
سكر	١٨٠	«

وجرعتهُ ملعقة كرام وتستعمل ٣ كرامات [illegible]

السوسن A. Flagdeuse, F. Iris, L. Iris نوع اعشاب من الفصيلة السوسنية جذورها مسهلة ومدرة للبول ويحضر كتيلات بهيئة الحمصة لتشغيل الفم

الشاهترج A. Fumiter, F. Fumeterre, L. Fumaria officinalis حشيشة من الفصيلة الشاهترجية شديدة المرورة تدخل في تركيب اخر المضاد للاسكربوط وتستعمل مقوية ومنقية ولاسيما في الربيع وهي خضراء فيؤخذ عصيرها بكمية ٦٠ — ٣٦٠ كراماً كل يوم مدة شهرين او ثلاثة اشهر . ولها فائدة كبيرة في ادرار الحيض ولا محذور في استعمالها لهذه الغاية كما في غيرها من العقاقير الاخرى التي تسمى العامة استعمالها

الشاي A. Tea, F. The, L. Thea نبات من الفصيلة الشائية وهو صنفان اسود واخضر ولكنهما نوع واحد لان صفاتهما وخواصهما واحدة واختلاف اللون عائد الى كيفية تحضيرهما التي لا محل لشرحها هنا

فالشاي هو اوراق اطراف الاغصان التي تجنى مراراً في السنة وافضلها الجنية الاولى حينما تكون الاغصان في اول ظهورها واوراقها لا تزال صغيرة

يستعمل الشاي نقيعاً بنسبة ٨ — ١٢ كراماً في ليتر ماء ممزوجاً بسدسه او ثلثه لبناً وهو مشروب حسن يفيد السمان واصحاب البنية المترهلة ولا يوافق النحفاء واصحاب المزاج العصبي السريعي التأثر

واما اذا استعمل دواء كما لو اعطي في سوء الهضم المسبب عن تخمة فيحضر النقيع بنصف الكمية المذكورة اي بنسبة ٤ كرامات — ٦ في ليتر ماء ويؤخذ بدون لبن

وبين القهوة والشاي فرق في فعلهما المنبه فالقهوة منبه خصوصي للدماغ لا تزيد بها الحرارة غير الطبيعية كما تزيد بمنبهات الدورة الدموية بل تهبط وتبهت لون الجلد واما الشاي فيفعل بوقت واحد على الوظائف الدماغية والدورة الدموية وينبه الحرارة ويزيد الافراز وبتأثيره يسرع النبض ويمتلئ ويسرع التنفس ويغزر العرق والبول ويسخن ويحتقن . ويفعل كالقهوة الخضراء والكافئين بالجرعات المعتدلة فينبه الدماغ ويعيد للعقل نشاطه ومضاءه بعد الكلل والتعب

والجرعات الكبيرة من الشاي تنبه الدماغ تنبيهاً شديداً وتحدث ارقاً مستعصياً واضطراباً عصبياً مزعجاً لان الشاي على ما يظهر يحتوي على مبدإ فعال غير الكافئين

الشعير A. Barley, F. Orge, L. Hordeum حب نبات من الفصيلة النجيلية يحتوي على مادة نشائية ومستحلب يكتسب بهما خواصه المغذية والملطفة ولاسيما اذا كان مقشوراً

وهو يرد مقشوراً في التجارة باسم الشعير المقشور والشعير اللؤلؤي يستعمل الخفي منه بنسبة ٣٠ كراماً الى ليتر ماء ويحضر الى قوام الشراب ويؤخذ محلى بشراب مفلطف او ممزوجاً بمغلي عرق السوس وتنس الحبوب قبل الغلي بالماء البارد . واما مغلي الشعير الاعتيادي فطعمه مرحريف غير مقبول بسبب قشره . اما الشراب المعروف بالاورجا Orgeat فليس من الشعير بل من مستحلب اللوز ونودل اسمه الافرنجي على الشعير . والشعير مغذ وملطف ومبول وهو العنصر المهم في تحضير البيرا

شقائق النعمان A. Anemone, F. Anémone, L. Ranunculus اعشاب من الفصيلة الشقيقية كثير منها حريف كاو وهي كثيرة الاستعمال في الطب القديم وقد اهملت في الطب الحديث

يستعمل بعضهم خلاصة شقائق النعمان للبهر اي العمى الوقتي المسبب من فعل النور الشديد وفي بياضة العين (بياض القرنية) ويستعملها آخرون منظفاً في القرحة وآخرون في انسداد القنوات الصفراوية في الكبد ويستعملون الماء المقطر منها غسولاً لازالة حب الصبا وحروق الجلد بفعل الشمس

الشقيق او الخشخاش الرياس A. Corn-rose, F. Coquelicot, L. Papaver rhoeas نوع من الخشخاش ينمو في الحقول ولكنه لا يحتوي على افيون او مورفين وزهره من الزهور الاربعة الصدرية يستعمل نقيعه معرقاً ومسكناً خفيفاً

الشمر A. Fennel, F. Fenouil, L. Anethum foeniculum عشبة اهلية عطرية من الفصيلة الصيوانية خواصها منبهة ومبولة وجذرها من الجذور الخمسة الطاردة للريح عند القدماء

الشوفان A. Oats, F. Avoine, L. Avena sativa حب نبات من الفصيلة النجيلية خواصه مغذ وملطف يستعمل مغلياً ويرد في التجارة مقشوراً ومجروشاً وغلاف الحب يحتوي على مادة عطرية تشبه الفانيلا رائحة ودقيقه كثير الشبه بالاراروت . وكثيرون يتغذون به صباحاً ويفضلونه على اللبن لسهولة هضمه فيأخذون المغلي صرفاً معطراً بماء الزهر او ماء الورد او ممزوجاً بالقرفة او ما ماثلها من البهارات العطرية . وهو يوافق كثيراً اصحاب المعد الضعيفة وسوء الهضم المعوي والناقهين من الحميات المضعفة كالتيفويد والالتهاب المعوي والدوسنطاريا الخ

شوك الجمل A. Thistle, F. Chardon, L. Carduus عشبة من الفصيلة المركبة

يؤخذ نقيعها مقوياً للمعدة ومدراً للبول ولشوك الجمال تنوعات منها الشوكة المباركة وهي مقوية للمعدة ومقيئة والشوك الدوار مبول ومطمث ومنبه للقابلية والشوك الباسوري ويعزون له الوقاية من البواسير ويحملون ذلك على وجود حدبيات حمراء تظهر على جذوع الاغصان من وخز بعض الحشرات ومشابهتها للبواسير بمنظرها ولونها

الشوكران A. Conium, hemlock, F. Ciguë, L. Conium, Cicuta عشبة من الفصيلة الصيوانية تنبت في الحقول الغير مزروعة وفي الجنائن وتشبه البقدونس في اول نموها ثم تمتاز عنهُ بعد ان تبلغ وتزهر وهي مخدرة سامة يجب الحذر في استعمالها وهي لا تستعمل الاَّ بمشورة الطبيب

الشيح : انظر الوزان

الصبر A. Aloe, F. Aloes, L. Aloe نبات من الفصيلة الزنبقية اوراقهُ عريضة لحمية يخرج من عصيرها خلاصة واتينجة ذات لون اصفر محمر ورائحة كريهة قوية وطعم مر شديد هو الصبر المعروف في الطب والتجارة وخواصهُ مقو ومسهل وطارد للدود ومطمث ويختلف فعلهُ باختلاف الجرعة التي يؤخذ بها فهو بين ٥ سنتكرامات الى ٢٥ سنتكراماً مقو ومن ١٥ — ٥٠ مسهل وهو يحدث مغصاً فيمزج ببعض المسكنات تلافياً لذلك واستعمالهُ مدة طويلة يحدث باسوراً واذا كان الباسور موجوداً تهيج به وكثيراً ما يستعمل مسحوقهُ ذروراً في العين لازالة البياض منها ولهُ استحضارات كثيرة ومنها الصبغة المعروفة باكسير الحياة الطويلة

الصفصاف A. Willow, F. Saule L. Salix شجر من الفصيلة الصفصافية يستعمل قشرهُ بدلاً من خشب الكينا فيؤخذ مسحوقاً بكمية ٣٠ كراماً او يغلى ٣٢ — ٤٨ كراماً منهُ في ليتر ماء الى ان يبقى الثلث

الصندل A. Sandal, F. Santal, L. Santalum في الصيدلية ثلاثة اشكال خشبية تسمى بالصندل وهي الابيض والتيموني والاحمر فالابيض والاصفر او التيموني من الفصيلة الصندلية ويفعلان بالغشاء المخاطي الملتهب في الرئتين والمثانة ومجرى البول كما تفعل المواد التربنتينية ويستخرج منها جوهر عطري يقمل فعلها ويعطى بنوع خاص في التهاب الغشاء المخاطي لمجرى البول واما الاحمر فمن الفصيلة القرنية الفراشية والاشكال الثلاثة معرفة

الصنوبر A. Pine, F. Pin, L. Pinus نوع اشجار عالية من الفصيلة الصنوبرية ذات منافع كثيرة فخشبها صلب يستعمل في الصناعة وقشرها يحتوي على حامض تنيك

فيستعمل في الدباغة وغيرها يستعمل لتطييب الاغذية ويستخرج منهُ بنسم كبنسم كندا وزفت كزفت برغونيا وزيت كزيت التربنتينا

واما فوائدهُ الطبية فان هواءهُ يفيد اصحاب الامراض الصدرية ولاسيما المسلولين فيشار عليهم ان يقيموا مدة الصيف في احراش الصنوبر ويحضر من بزاعمهِ شراب مفيد في النزلات الرئوية وفي السل وقد عرفت فائدتهُ في شفاء الاسكربوط منذ القديم

الصوفان Agaric or Amadou, F. Amadou, L. Boletus igniarius

فطر ينمو على شجر السنديان وغيرهِ ينقع بالماء المنشع بنترات البوتاس او كلوراته وينشف بالهواء خواصهُ قابض يستعمل لتوقيف النزف السطحي الخفيف كتوقيف الدم بعد العلق

الدكتور امين ابو خاطر

الرياضة البدنية

الحركة ضرورية لقيام الجسم باعماله . واكثر الناس يتعاطون اعمالاً تضطرهم الى الحركة فلا حاجة بهم الى رياضة بدنية خاصة الاَّ ما كان من قبيل التسلي وترويح النفس . اما الذين يتعاطون اعمالاً تقتضي القعود بلا حركة والذين لا يتعاطون عملاً على الاطلاق فالرياضة ضرورية لهم مثل الاكل والنوم . ومن فوائدها انها تساعد على نزح الفضلات وتجديد ما يندثر من الجسم لانها تزيد عمل القلب والرئتين والكليتين التي تهيجها كثرة الفضلات في الدم بسبب الرياضة . وتقوي دورة الدم بانقباض العضلات وانبساطها لان هذا الانقباض والانبساط يدفعان الدم في اوعيتهِ . ثم ان حركة الحجاب الحاجز وعضلات البطن تحرك المعدة والامعاء وتعركها وتضغط الكبد فيفرز الصفراء فينتظم الهضم وتتخلص الامعاء مما يكون فيها من الفضلات

اما من يهمل الرياضة من الحديثي السن فتظل عضلاتهُ ضعيفة وعظامهُ دقيقة وقد يؤدي ضعف عضلات ظهرهِ الى تقوس كتفيهِ او التواء عمودهِ الفقري . ويبقى صدرهُ ضيقاً عرضة للامراض الصدرية كالسل وغيرهِ . ومن اهملها من الشبان قل دمهُ واصيب بسوء الهضم والامساك . ومن اهملها من المتوسطين في السن ترهل وضعف قلبهُ واوعيتهُ الدموية وارتخت عضلاتهُ وتجمع فيها الشحم وتعرض بالتالي لامراض كثيرة

وللافراط في الرياضة مضار لا تقل عن مضار التفريط فيها . وقد تنمو العضلات وتكثر في بادئ الامر اذا أُجهدت ولكنها لا تلبث ان تأخذ بالضعف والقصور اذا طال اجهادها

كما يحدث لمفضلات المتخذين في السن يكثرون من ركوب الخيل ولا يقومون بنوع آخر من الرياضة . والذين يجهدون انفسهم في العدو تحدد قلوبهم واوعيتهم الدموية وخلايا الهواء في رئاتهم . ومن اكثر في حداثته من الرياضة العنيفة كالعدو ولعب كرة القدم ثم انقطع عنها بعد ذلك فالغالب ان يسمن ويتجمع الشحم في قلبه

ويجب التدرج في الرياضة تدرجاً من الخفيف الى العنيف والرياضة الخفيفة التي لا تتعب كثيراً انفع من الرياضة العنيفة . ومن كان في بعض اعضائه ضعف فيجدر به ان يستشير طبيباً في نوع الرياضة التي تلزم له ومقدارها

الصلع وعلاجه

قلما يصيب الصلع الذين لم يزالوا بعيدين عن اسباب المدنية ويعيشون في الهواء الطلق . ولكنه يكثر في اهل المدنية حتى يصح ان يعد من ظواهر تقدمهم في السن . واكثر ما يظهر تدريجاً ولكنه قد يظهر بغتاً وقد يعم البدن فلا يترك فيه شعرة

ومما يسبب سقوط الشعر الحميات الثقيلة والسفلس والسل وفقر الدم وكثرة الهم . والصلع الباكر وراثي في الغالب ويسبقه ظهور الهبرية (القشرة) في الرأس بفعل بعض المكروبات التي تتلف المادة الزيتية في الشعر . ولكل شعرة حياة تنتهي بسقوطها ولكن غدتها تنبت شعرة اخرى بدلاً منها اما اذا تتابع سقوط الشعر سريعاً اخذت الغدد تضعف الى ان تتعطل عن الانبات جملة

ومما يمهد السبيل لتصلع بعض ما يلبس على الرأس مما يضغط على الاوعية الدموية ويمنع جرى الدم فيها وكثرة التفكير لانها تقصي الدم من ظاهر الرأس ليجتمع في الدماغ . ويقال ان الشعر الجعد لا يصاب بالصلع كثيراً لانه يخفف ضغط لباس الرأس على الاوعية الدموية . ومما يضر بالشعر ويعجل موته كثرة العرق ولذلك يكثر الصلع في الذين يقيمون مدة طويلة في البلاد الحارة . وبعض الامراض الجلدية كداء الذئب والحمرة والقوباء اذا اصابت الرأس سببت الصلع فيبادر المصاب الى الغسولات التي تهيج نمو الشعر فيجني الضرر من حيث يرجو النفع

ويجب المبادرة الى معالجة الصلع في بدايته لانه اذا امكن انبات الشعر ثانية بعد سقوطه جاء اضعف مما كان اولاً . ويجب ايضاً الامتناع عن لبس ما يعوق جريان الدم في الاوعية التي في ظاهر الرأس وترك الرأس حاسراً ما امكن . ويجتنب المشط ذو الاسنان الحادة

والفرشة ذات الشعر الصلب . ويغسل الشعر كل اسبوع بخلاصة الكوباليا مع الماء الحار او بالصابون الكثير الدهن او ببيضة مخفوقة ثم ينشف جيداً فاذا بقي قاسياً فدهن بمركب فيه جزء من اللانولين و ١٦ جزءاً من زيت السمسم . واذا ظهر الصلع في الاحداث قص شعرهم قصيراً وغسلت رؤوسهم بالسبيرتو يومياً . اما الذين يدب فيهم الصلع ويكرهون قص شعورهم على هذه الطريقة فيغسلونها كل يوم بصابون حيرا المصفى المطيب وهو يتركب من جزئين من الصابون الطري وجزء من السبيرتو المصحح ثم ينظفونها من بقايا الصابون كلما غسلوها ويواظب على ذلك الى ان يقف سقوط الشعر . ويمنع سقوط الشعر ايضاً دهون يركب من درهم من الشحم و ٦ دراهم من اللانولين ودرهمين من زيت السمسم . ويزيل الهبرية او قشرة الرأس غسول يركب من ٥ اواق من الماء واوقية من الكولونيا وقمحة من السليماني . ويجب الاعتناء بصحة الجسم عموماً وقص الشعر مرة كل ثلاثة اسابيع . وينفع حرق رؤوس الشعر في كثير من حوادث الصلع

باب الزراعة

تقليل زراعة القطن

في القطر المصري

كانت مساحة الاطيان المزروعة قطناً في العام الماضي في الوجه البحري ٣٧٣٢٤٣ فداناً او نحو ٤٥ في المئة من مجموع اطيانه وفي الوجه القبلي ٣٨٣٠٢٧ فداناً او نحو ١٩ في المئة من مجموع اطيانه والجملة ١٧٥٥٢٧٠ فداناً . ولما كسدت سوق القطن بسبب الحرب الاوربية وخيف ان لا يباع القطن المصري كله هذا العام فيهبط ثمنه وتبقى منه بقية كبيرة الى العام المقبل يهبط بها ثمن قطنه ايضاً قررت الحكومة المصرية بعد ما استشارت جماعة من كبار المزارعين والتجار ان لا تزيد زراعة القطن في العام المقبل على مليون فدان وصدر الامر العالي بذلك في ٢٢ سبتمبر وهذا نصه

نحن خديوي مصر

نظراً لان المصلحة الاساسية للقطر المصري في الظروف الحاضرة تقضي من جهة اولى بانقاص محصول القطن تبعاً لنقص حاجة السوق لاجل المحافظة على سعر معتدل للمحصول .

وتقضي من جهة ثانية بزيادة الحاصلات من الحبوب لمنع ما قد يحتمل حدوثهُ من ارتفاع اسعار الحبوب الواردة من الخارج وتمكين القطر في هذه الحالة من الانتفاع بتصدير ما يزيد عن حاجاته من هذه المحصولات

وبناء على ما عرضهُ علينا ناظر الزراعة بعد اخذ رأي المجلس الاستشاري للزراعة وبعد موافقة رأي مجلس النظار

امرنا بما هو آت

المادة الاولى يكون الحد الاقصى لمجموع المساحة التي تزرع قطناً في سنة ١٩١٥ الزراعية مليوناً واحداً من الفدادين ولهذا الغرض

اولاً تمنع زراعة القطن في اراضي الحياض بالوجه القبلي منعاً قطعياً

ثانياً لا يسوغ لاي مالك او مستاجر ان يزرع من القطن ما تزيد مساحتهُ على ربع مساحة الملك الزراعي الواحد

المادة الثانية وبطريق الاستثناء من النصوص المتقدمة يجوز ابلاغ نسبة الاراضي الجائز زراعتها قطناً الى الثلث وذلك بقرار من ناظر الزراعة فيما يتعلق بالمناطق او الاملاك التي يثبت لهُ انها غير صالحة لزراعة الحبوب وبشرط ان الحد الاقصى لزراعة القطن وقدرهُ مليون واحد من الفدادين لا يحصل تجاوزهُ في اي حال من الاحوال

المادة الثالثة الاراضي الواقعة في الحياض المعمول لها حوض الآن والمنتفعة بالري الصيفي بواسطة النيل او الترع يقتضي تصريح خاص من مصلحة الري او بواسطة الآبار الارتوازية او غيرها لا يسري عليها حكم الفقرة الاولى من المادة الاولى من امرنا وتعتبر فيما يتعلق بتطبيق الفقرة الثانية من تلك المادة كأنها عبارة عن ملك زراعي مستقل

المادة الرابعة الاراضي البور والاراضي التي لا تصلح لزراعة عادية منتظمة لا تدخل في الحساب عند تقدير زمام الملك الزراعي فيما يتعلق بتطبيق الفقرة الثانية من المادة الاولى

المادة الخامسة فيما يتعلق بتطبيق الفقرة الثانية من المادة الاولى يجوز اعتبار الاراضي المتجاورة المملوكة لملاك مختلفين كأنها ملك زراعي واحد وذلك بناء على طلب اصحابها وبعد مصادقة الموظف الذي يعينهُ ناظر الزراعة لهذا الغرض

المادة السادسة على ناظر الزراعة تنفيذ امرنا هذا - وله ان يصدر القرارات اللازمة لهذا الغرض بعد التصديق عليها من مجلس النظار

صدر بالقاهرة في ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٢ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٤

ومساحة الاطيان الصالحة للزراعة في الوجه البحري نحو ثلاثة ملايين فدان فاذا زرع ربعها قطناً بلغت مساحته ٧٥٠٠٠٠ فدان . ومساحة الاطيان في الوجه القبلي نحو مليوني فدان ولكن الصالح لزرع القطن منها نحو مليون فدان فقط فاذا زرع ربعهُ قطناً بلغت مساحتهُ ٢٥٠٠٠٠ فدان فتكون مساحة القطن في الوجه القبلي والوجه البحري مليون فدان وهو المطلوب

ويرجح الخبيرون ان هذا الترتيب يفيد القطر مالياً من وجوه كثيرة

فاولاً يختار المزارعون اجود اطيانهم لزرع القطن فلا تذهب نفقاتهم سدًى في زرع الاطيان الضعيفة لان نفقات فدان القطن كثيرة جداً من اربعة جنيهات الى ستة ونفقات زرع الحبوب لا تزيد على جنيه ومع التسميد تبلغ جنيهين او اكثر فيتوفر من تقليل المساحة نحو ثلاثة جنيهات في كل فدان وفي السبع مئة والخمسين الف الفدان مليونان وربع من الجنيهات

وثانياً وجد بالاختبار ان السباخ البلدي اصلح من غيره لتسميد القطن ومقداره في القطر قليل لا يكفي لتسميد مساحة كبيرة فاذا حُصر في مساحة صغيرة كفاها وكان فعلهُ كبيراً فيها ولا يبعد ان تكون نتيجة ذلك زيادة قنطار في محصول كل فدان

وثالثاً ان الاطيان التي لا يزرع القطن فيها كما كان يزرع عادة تزرع زراعة شتوية قمحاً او فولاً وزراعة نيلية وهذه المزروعات كلها تسمد بالسماد الكيماوي فيتوفر السباخ البلدي كلهُ للقطن

رابعاً ان المياه التي توفر من ري ٧٥٠٠٠٠ فدان قطناً يمكن استعمالها لري مئتي الف فدان من الارز في الاراضي التي تصلح لهُ وهو يصلحها فتستعد لزرع القطن في العام التالي

خامساً ومن المحتمل ان تعذر الحبوب في العام المقبل بسبب الحرب وامتناع البلدان واسعة في اوربا عن الزرع اما القطر المصري فلا يضطر ان يجلب بعض طعامهِ من الخارج وقد تزيد الحبوب فيهِ عن المقطوعية البلدية فيصدر منها الى الخارج

سادساً واخيراً انهُ اذا قلَّ موسم القطن حتى لم يزد على المقطوعية فالمرجح ان ثمنهُ يرتفع او لا يهبط كثيراً

هذا ولولا جسامة الخطر من هبوط سعر القطن بسبب الحرب لاشرنا بالتدرج في هذه التجربة فتقلل المساحة عشرة في المئة او عشرين في المئة لا اربعين في المئة دفعة واحدة . ولو كانت الحكومة المصرية في سعة مالية لاشرنا عليها ان تكتفي بتقليل المساحة عشرين في المئة وان تبتاع مليوني قنطار من القطن وتحلجها وتخزنها الى ان تعود الاسعار الى سابق عهدها لان القطن لا يحمض ولا يسوس

الطعام الرخيص

يأكل الفلاح المصري خبز الذرة من غير ادام او يأدمهُ بقليل من الفول والبصل وقد يأكل بيضة او شيئاً من الجبن او الجبن او الزبدة وفي النادر يأكل لحماً . ومتوسط ثمن طعامهِ في اليوم لا يزيد على غرش الى غرشين وهو منتصب القامة شديد العضل يعمل النهار كلهُ في الشمس ولا يشكو تعباً وينام الليل كلهُ ولا يشكو ارقاً . وقد يكون مالك الارض الذي يعمل فيها اميراً او وزيراً او تاجراً وهو في الغالب مترفه في معيشتهِ يأكل اللحم مرتين او ثلاثاً في اليوم الواناً مختلفة ويأكل من السمك والبيض وخبز القمح وانواع الحلوى والفاكهة ولا تقل نفقات طعامهِ في اليوم عن ريال او ريالين او اكثر وهو ليس اصح بنية ولا اجود صحة ولا اهنأ عيشاً من الفلاح الذي ثمن طعامهِ من غرش الى غرشين بل الغالب انهُ يكون دون الفلاح في كل شيء من قبيل الصحة

والطعام عماد الصحة البدنية كما لا يخفى وهو اصل القوى الجسدية والعقلية فان كان الغالي منهُ ليس اصلح من الرخيص للقيام بالاغراض التي يؤكل لاجلها فلماذا يتهافت الناس على الغالي القليل الفائدة ويتركون الرخيص الكثير الفائدة

ان ما تقدَّم من ثمن طعام الفلاح الصغير وطعام المالك الكبير محقق لا ريب فيهِ وهو يغني عن كل بحث علمي ولكن البحث العلمي جاء مؤيداً لهُ تمام التأييد ففي الدنمارك معهد للبحث العلمي في الاغذية وفائدتها مديرهُ عالم اسمهُ الدكتور هندهيد وقد ألف كتاباً منذ عهد قريب ضمنهُ خلاصة مباحثهِ في ذلك المعهد والنتائج التي اوصلت التجارب اليها وهي مؤيدة لما تقدم من ان طعام الفقير الرخيص كافٍ لتغذية جسم الانسان مثل طعام الغني الثمين بل هو افيد منهُ . فقد ثبت بالبحث العلمي ان في رطل البطاطس من المواد المغذية قدر ما في خمسة ارطال من اللحم الخبر . نعم ان المادة المغذية التي في اللحم الخبر ليست من نوع المادة المغذية التي في البطاطس ولكن الواحدة تغني عن الاخرى . وثمن رطل البطاطس نصف غرش وثمن الخمسة الارطال من اللحم عشرون غرشاً على الاقل (والرطل هو الرطل المصري اي نحو ثلث اقة)

والمادة المغذية التي في اللحم الخبر موجودة في الخبز وهي في اللحم ٨ في المئة من وزنهِ وفي الخبز ١٠ في المئة من وزنهِ وفي الخبز مادة اخرى مغذية غير هذه . ورطل اللحم الخبر يساوي اربعة غروش ورطل الخبز نحو نصف غرش ولا نبالغ اذا قلنا ان في ما ثمنهُ غرش واحد من الخبز غذاء للجسم قدر ما في قطعة من اللحم الخبر ثمنها عشرون غرشاً

وقد وصف الدكتور هندحيد أكثر انواع الاطعمة فقال فيها ما ملخصهُ

البطاطس — اجود انواع الطعام وقد جعلتْ طعام البعض منها وحدها عشرة اشهر فجادت صحتهم . وهي تشفي من الاسهال وتذيب الحامض اليوريك ولكن لا بد من سلقها جيداً بقشرها ثم يجب مضغها جيداً وقت اكلها . وما يصدق عليها يصدق على غيرها من الجذور كالجزر ونحوه

الخضر — غالية وقليلة الغذاء فهي تؤكل للتلذذ بطعمها

الجبن — كثير الغذاء وانفع من اللحم في الغالب ولكنهُ غالٍ بالنسبة الى ما فيه من الغذاء ولو كان ارخص من اللحم

البيض — اغلى من القمح ومن الذرة وزناً بوزن والغذاء في الرطل منهُ اقل من الغذاء في رطل القمح او رطل الذرة

الفول والعدس والحمص والفوياء — في هذه الحبوب كلها من الغذاء ما يغني عن اللحم ويحسن ان يبدل بها القمح والبطاطس من وقت الى آخر او تؤكل معها

الاثمار — قليلة الغذاء لكثرة ما فيها من الماء ولكنها مفيدة جداً بالقليل من الغذاء الذي فيها وبالاملاح التي تحتويها فيحسن اكلها مع الحبوب والادهان . وانا امزج البورج (العصيدة) بالاثمار وقت اكلهِ واترك الخبز يربى الاثمار وآكلهُ

الزبدة — غالية نوعاً ولكنها مفيدة جداً وفي الرطل منها من القوة قدر ما في ثمانية ارطال من اللحم الهبر . والانسان يستطيع ان يعيش على الخبز والزبدة او على البطاطس والزبدة طول عمره ولا يكون ثمن طعامهِ في اليوم اكثر من ثلاثة غروش

مركبات النيتروجين في الزراعة

مركبات النيتروجين لازمة للزراعة خصب المزروعات وهي تصل الى المزروعات اما من الارض نفسها او من السماد الطبيعي كزبل البقر والغنم وما اشبه واما من السماد الكيماوي الموجود في الطبيعة كنترات الصودا واما من الهواء بواسطة الميكروبات التي تعيش على جذور القطاني كالفول والبرسيم واما من الهواء بواسطة القوة الكهربائية التي استعملت الآن لتركيب نيتروجين الهواء مع الجير وتكوين نيترات الجير السيانامید

وقد قرأنا ان معامل اودا في نروج تصنع الآن ٨٠٠٠٠ طن في السنة من سيانامید الجير وينتظر ان تصنع ايضاً بمعمل عهد قريب حتى تصير تصنع مليوني طن في السنة

وسيانامید الجير ونيترات الجير يفيدان جداً في زراعة القمح والذرة وقد جربناها في زراعة القطن فنما كثيراً ولكن جاء نوزه قليلاً جداً فلا يصلحان للقطن على ما ظهر لنا ولعلهما يصلحان لهُ في الارض الضعيفة

دود نوز القطن

ظهر دود نوز القطن بكثرة في كل مديريات الوجه البحري . والذي رأيناهُ منهُ هو دود بزر القطن فقط اي الدود القرنفلي ولكن الذي رأيناهُ منهُ اكبر قليلاً من الدود القرنفلي المعتاد ورأينا ايضاً في بزر نوز القطن دوداً ابيض صغيراً جداً رأسهُ اسود ولعلهُ من الدود الاحمر قبل يكبر . ودود البزر يكتفي باكل البزر ولكنهُ يوسخ القطن ويتلفهُ . والظاهر ان الوسيلة التي اشارت بها الحكومة وهي حرق النوز المضروب او تحميصهُ لم تكفِ لاستئصال هذه الضربة فلم يبقَ الاَّ ان يفتش علماء الزراعة عن حشرة او مادة فطرية تفتك بدود بزر القطن وتربيها وتبثها في البلاد . وما فلَّ الحديد الاَّ الحديد . وهذا لا يمنع من تنقية النوز المضروب هذه السنة وتحميصهُ حتى يموت ما فيهِ من الدود

اما النوز المضروب فليس كثيراً في ما فحصناهُ من القطن يبلغ خمسة في المئة الى عشرة في المئة ولكن يقال انهُ اكثر من ذلك كثيراً في جهات اخرى من كل مديريات الوجه البحري وهو على كل حال محصور في الطرح الاخير او المجاور لهُ وقلما نراهُ في الطرح الباكر فكان وجودهُ متعلق ببرد الهواء ورطوبتهِ وهما حالتان جويتان لا سلطة للانسان عليهما

النتروجين في ماء المطر

بحث عالم يقال لهُ الدكتور جورتز في مقدار ما ينزل من النتروجين والكلور مع ماء المطر في جنوب افريقية فوجد ان النتروجين في امطار الصيف اكثر منهُ في امطار الشتاء في الغالب . وينزل من النتروجين في كل فدان من الارض رطل ونصف الى ستة ارطال وخمس في السنة . اما الكلور فوجد انهُ يزيد كثيراً بعض السنين فيبلغ ما ينزل منهُ في الفدان الواحد من ٦٠ رطلاً الى ٧٠

وقد بحث الدكتور غيوم كابوس عمَّا يقع مع ماء المطر في بلاد التنكين التابعة لفرنسا من الحامض النتريك المتكون بفعل الانواء الكهربائية فوجد انهُ يعادل في السنة ١٨١٣٩٠ طناً من نترات الصودا و ١٣٧٥٠٠ طناً من كبريتات الامونيا ومجموعها يساوي نحو اربعة ملايين من الجنيهات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يخفي مسائله باسمه والقابه ونحن اقامنه اسمائه واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين سرونا تدريج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليه فليكرره سائلاً فان لم تدرجه بعد شهر آخر فكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) نور غريب

بغداد محمد افندي جعفر الشبيبي .

رأيت في احدى الليالي كوكباً صغيراً يبزغ من الجنوب الغربي عند الغروب فيتباعد الى اقصى الجنوب بسرعة فائقة ويتوارى عن الانظار في الساعة الثانية بعد الغروب اي يظل بازغاً زهاء ساعتين وهو احمر فان فعجبت من هذا الكوكب وكتبت هذه السطور راجياً ان تخبرونا باسمه وما يجود به علمكم في هذا الشأن

ج ليس بين كواكب السماء ما يصدق عليه وصفكم . ولا يصدق وصفكم على النيازك لان النيزك الواحد منها لا يظهر الا مرة واحدة ولا يبقى بازغاً زهاء ساعتين . ولكن اذا حذفنا من وصفكم قولكم « فيتباعد الى اقصى الجنوب بسرعة فائقة » فما بقي منه يصدق على النجم المسمى بقلب العقرب فانه احمر اللون ويظهر في بعض شهور السنة الى الجنوب الغربي فوق الافق بنحو ثلاثين درجة فيغيب بعد الغروب بساعتين . واما اذا كان وصفكم صحيحاً تماماً فيحتمل ان يكون ما رأيتموه قنديلاً معلقاً بطيارة لا كوكباً

(٢) المزاج الصفراوي

دمشق . احد القراء . ذكرتم في المجلد الحادي عشر والصفحة ٣٦ ان المزاج الصفراوي لم يزل مشكوكاً فيه فهل ثبت وجوده الآن

ج الكلام على الامزجة قديم لا يعنى به الاطباء الآن وقد ابدلوه بالكلام على البنية والاستعداد للامراض والوقاية منها اي انهم تتبعوا كل حالة صحية او مرضية الى اصلها وتركوا التعميم السابق لكثرة ما فيه من الخلل

(٣) القبض

ومنه . وفي تلك الصفحة ايضاً في القواعد الصحية لاصحاب هذا المزاج اجتناب القبض فما هو المراد بذلك

ج القبض او الامساك ضد الاسهال اي يجب على المصاب بمرض الكبد مثلاً ان يتناول مسهلاً من وقت الى آخر او كلما اصيب بالامساك

(٤) الزاوية القائمة

[illegible] هل يمكن معرفة الوتر اي الضلع

القائم في مثلث قائم الزاوية متساوي الساقين

ج · نعم فان المتدئين في الهندسة يعرفون قضية فيثاغورس الذي نشأ في القرن السادس قبل المسيح وهي ان مربع الوتر يعدل مربعي الساقين ولذلك فالوتر يعدل الجذر المثلي من مضاعف مربع احدى الساقين المتساويتين فاذا كان كل منهما ثلاثة امتار مثلاً فالوتر يعدل الجذر المثلي من ١٨ او نحو ٤٫٢

(٥) نسبة المحيط الى القطر

ومنهُ · ما هي نسبة محيط الدائرة الى قطرها بالتدقيق

ج · ان النسبة بينهما غير متناهية وقد وصل بها بعضهم الى اكثر من سبع مئة رقم من الكسر العشري · ويكفي في الاستعمال هذه النسبة وهي ٣٫١٤١٥٩ او $\frac{٣٥٥}{١١٣}$

(٦) تحويل موازين الحرارة

ومنهُ · ما هي القاعدة لتحويل درجات موازين الحرارة بعضها الى بعض

ج · ان كل ٩ درجات من ميزان فارنهيت تعدل ٥ درجات من ميزان سنتغراد او ٤ درجات من ميزان رومر ولذلك تقسم درجات فارنهيت على ٩ وتضرب في ٥ لتحويلها الى سنتغراد او في ٤ لتحويلها الى رومر · وتقسم درجات سنتغراد على ٥ وتضرب في ٩ لتحويلها الى فارنهيت وفي ٤ لتحويلها الى رومر · وتقسم درجات رومر على ٤ وتضرب في ٩ لتحويلها الى فارنهيت وفي ٥ لتحويلها الى سنتغراد · ولكن درجة الجليد في فارنهيت ٣٢ وفي سنتغراد وروس صفر فلا بدَّ من طرح ٣٢ من درجات فارنهيت قبل تحويلها الى سنتغراد او الى رومر ومن اضافة ٣٢ بعد ما تحوَّل اليها درجات سنتغراد او رومر

(٧) نور يشبه البرق

ومنهُ ظهر عندنا في دمشق في الصيف الماضي في الليل نور شديد يشبه البرق فما سببهُ

ج · لعلهُ نور نوع كهربائي او نور الشفق القطبي

(٨) مصر والحرب

فراشة · شيخ العرب ابو هاشم على قريط · هل يخشى على مصر من الحرب الحاضرة

ج · ان الضيقة المالية التي اصابت القطر هي من نتائج هذه الحرب ولولاها لاقبل التجار على ابتياع قطننا باربعة جنيهات ونصف او اكثر القنطار ونحن لا نطمع الآن ان نبيع القنطار بثلاثة جنيهات ونصف لخسارة مصر في ثمن موسم هذه السنة وحدهُ لا اقل من سبعة ملايين من الجنيهات · والبنوك التي اودعها الوطنيون اموالهم لا ينتظر ان تستطيع رد كل اموالهم اليهم وهذه خسارة اخرى من نتائج هذه الحرب · ولكن اذا عملنا هذه الضيقة المالية الاقتصاد والاعتماد على جلب البضائع الخالية من الغش في المستقبل فقد نستفيد ما يزيد على الخسارة التي خسرناها

(٩) بيع القطن وتسديد الديون

ومنهُ · اذا طالت الحرب فكيف يباع القطن وكيف تسدَّد ديون البنوك وهل تستطيع الحكومة ان توقف حجوز البنوك الى ان تنتهي الحرب

ج · ذكرنا في غير هذا المكان انهُ اذا كان الفرق بين ثمن القطن المصري والقطن الاميركي ريالين او ثلاثة فقط فالمرجح ان القطن المصري يباع كلهُ لانهُ قليل جدًّا في جنب القطن الاميركي · والقطن الاميركي بلغ في بعض السنين ٦٥ مليون قنطار وفي غيرها ٨٠ مليون قنطار والفرق بينها ١٥ مليون قنطار اي مضاعف موسم القطن المصري فالمعامل التي تتدبر خمسة عشر مليون قنطار في السنة الواحدة فوق مقطوعيتها في سنة اخرى لا يصعب عليها ان تأخذ القطن المصري كلهُ اذا كان سعرهُ قريبًا من سعر القطن الاميركي · اما الديون فلا بدَّ من تأجيلها الى ان يباع القطن · وقد أبنا في مقالة اخرى في هذا الجزء ان القطر المصري يستطيع اذا دعت الحال ان يقتصد في نفقاته فيوفر منها نحو عشرة ملايين جنيه ومهما هبط ثمن القطن لا يكون الهبوط اكثر من ذلك ولا ندري ما تقصد الحكومة عملهُ في امر الحجوز ولكننا نرجح انها ستتفق مع اصحاب البنوك العقارية على امهال المستدينين الى ان يبيعوا قطنهم

(١٠) الجن

شبرا الفين · عبد الفتاح افندي عطية · نهر المجرة هل هو مكون من اجرام سماوية او من غازات متجمعة

ج · ان اكثر ما نراهُ من المجرَّة شموس كل شمس منها اكبر من شمسنا مرارًا وقد يكون بينها ما لا يزال في الحال السديمية

(١١) الفجر الكاذب

ومنهُ · اصحيح ان الفجر الكاذب هو نور يسطع حوالي الساعة الثالثة ثم يعقبهُ ظلام حالك · وهل هو ناجم عن دنو الشمس من الشرق او هو قائم بنفسهِ

ج · الفجر الكاذب او ذنب السرحان او النور البرجي نور يظهر مستعرضًا في السماء بعد غروب الشمس وقبل شروقها يرجح انهُ ناتج من انعكاس نور الشمس من ذرات مادة منتشرة حول الشمس الى بعد شاسع عنها وقد رجح الاستاذ نيوكم الفلكي ان هذه الذرات غازية او في حكم الغاز لنقاوتها · ولا يعقبهُ ظلام حالك ولكن متى قربت الشمس من الافق في الصباح كسف نورها نورهُ كما يكسف نور النهار نور الشمعة فتظهر مظلمًا بعد ان كان مضيئًا

(١٢) لعب الورق

مصر · سمعان افندي نجار · من استنبط لعب الورق

ج · لا يعلم تمامًا من استنبط لعب الورق ولا اية امَّة استعملتهُ اولاً ولكن يرجح انهُ

استنبط في اسبانيا فقد جاء في القاموس الصيني لشن تسه تنج الذي أُلف سنة ٦٧٨ ان لعب الورق اخترع في عصر سن هو تسلية سرارية وذلك سنة ١٣٠ للميلاد ولكن يقال ايضاً ان لعب الورق كان معروفاً في بلاد الهند من عصر قديم جداً وانهُ من مخترعات البراهمة . ونسب بعضهم اختراعهُ الى المصريين القدماء وبعضهم الى العرب . ولكننا لم نرَ في كل ما قرأناهُ من الكتب العربية ما يدل على ان العرب كانوا يعرفون لعب الورق ولا اشارة في كتب اللغة اليهِ . وقد عرف لعب الورق في اوربا في اواسط القرن الرابع عشر

(١٣) الشطرنج

ومنهُ . من استنبط لعب الشطرنج ج . استنبطهُ الهنود ومنهم انتقل الى بلاد الفرس في القرن السادس للميلاد وقد ذكرهُ المسعودي في نحو سنة ٩٥٠ للميلاد كلعبة قديمة

الاخبار العلمية

مصطفى باشا فهمي

فقدت مصر وزيراً من اكبر وزرائها واصدقهم في خدمتها وهو المرحوم مصطفى باشا فهمي . مضى الى اوربا في اوائل الصيف على جاري عادتهِ ثم اضطرَّ ان يعود منها مسرعاً بسبب نشوب الحرب فتعب في السفر براً الى ان وصل الى مرسيليا وانذر الاطباء ذويهِ بالخطر فاسرعوا بهِ الى مصر . واشتدَّت وطأة الضعف عليهِ الى ان قُبض الى رحمة ربهِ في الاسكندرية ليل الرابع عشر من سبتمبر وجيء بهِ الى العاصمة في اليوم الثاني واحتفل بجنازتهِ ودفنهِ احتفالاً فخماً منقطع النظير فسار في موكب الجنازة الامراء والعلماء والوزراء والوجهاء وكل ذي مقام واشتركت الجنود الانكليزية والمصرية في تشييع الجنازة واطلاق المدافع والبنادق لانهُ كان حائزاً لرتبة فريق . وقد نشرنا طرفاً من ترجمتهِ في مقتطف يونيو الماضي وذكرنا خلاصة اوصافهِ في المقطم يوم دفنهِ ونكرر هنا ما قلناهُ في خاتمة تلك العجالة وهو ان اسم مصطفى باشا فهمي سيبقى في تاريخ مصر الحديث مقروناً بالاجلال والاكبار كوزير حكيم امين في خدمة وطنهِ وكمثال في الصدق ولين الجانب واصالة الرأي وحسن النظر في العواقب

الجوز من السنديان

كتب بعضهم الى مجلة نالشر من كليفورنيا باميركا يقول انهُ زاوج بين اشجار من السنديان واشجار من الجوز فتولّد معهُ شجرة شكلها وشكل اغصانها وورقها مثل شجر السنديان تماماً ولكن ثمرها جوز لا بلوط . وعنده ان انواع النباتات متولدة من اختلاط الاجناس المختلفة بعضها ببعض بالمزاوجة لا غير

التطعيم للوقاية من التيفويد والفساد

فرضت الحكومة الانكليزية على كل جنودها ان يتطعموا للوقاية من الحمّى التيفويدية ودليلها على ذلك انهُ كان يموت بالتيفويد من الحامية البريطانية في بلاد الهند من ٣٠٠ الى ٦٠٠ كل سنة فتطعم ٩٣ في المئة منها بالطعم الذي يقي من التيفويد فهبط عدد الوفيات بهذا المرض في العام الماضي الى ٢٠ فقط . وقد اخذت معامل انكلترا الباثولوجية تصنع المصل الواقي من التيفويد وتصنع ايضاً المصل الواقي من فساد الدم وهو يقي الجنود من ان تفسد جراحها اذا جرحت وكانت قد تطعمت به

البحث العلمي في الهند

هذه اول مرة وقع نظرنا على خلاصة بحث علمي مجرّد لعالم هندي فان الدكتور والي محمّد من كلية علي كده بالهند وصف نتائج بحثهِ في تركّب الخطوط التي ترى في طيف الالومينيوم والبزموث والكدميوم والكروم والكوبلت والنحاس والرصاص والمنغنيسيوم والمنغنيس والفضة والصوديوم والقصدير والتوريوم . وكان يصوّر الطيف على الواح مختلفة كلّ منها صالح لجزء منهُ فوجد ان الخطوط المركبة قلما توجد في طيوف المعادن فلا توجد الاّ في طيف النحاس والرصاص والمنغنيس

تجارة القطر المصري في ثمانية اشهر

بلغت قيمة الواردات الى القطر المصري في شهر اغسطس الماضي ١٤٨٦٩٦١ جنيهاً وكانت في هذا الشهر من العام الماضي ٢٢٥٩٩٥٩ جنيهاً فنقصت هذه السنة ٧٦٩٩٩٦ جنيهاً . واذا استمر النقص على هذه النسبة سنة من الزمان نقصت قيمة الواردات فيها اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات هذا من غير ان تزاد زراعة الحبوب فاذا زيدت واستغنى القطر بنفسهِ عن جلب الحبوب من الخارج بلغ النقص في قيمة الواردات مدة سنة نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات . وقد نقصت قيمة الصادرات ايضاً ٨٠٥٢٥٣ جنيهاً واذا استمرّ النقص سنة على هذه النسبة بلغ في آخر السنة اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات ولا يحتمل ان

يزيد النقص على ذلك . فاذا بلغ نقص الصادرات من اول هذه الحرب الى اثني عشر شهراً عشرة ملايين من الجنيهات ونقص الواردات اثني عشر مليوناً كان تأثير الحرب في القطر المصري نفعاً لا ضرراً لانهُ يكون قد اقتصد في نفقاته اكثر مما خسر بهبوط ثمن صادراته . وقد يستمرُّ على الاقتصاد سنةً وسنتين بعد ذلك

وقد تناول نقص الواردات في شهر اغسطس الماضي كل شيء تقريباً ومن اهم ذلك المواد التالية وقد ذكرناها هنا وذكرنا معها مقدار نقص ثمنها عن ثمن ما ورد منها في اغسطس السابق

الحيوانات والمواد الحيوانية	٢٩٢٨٢ جنيهاً
الحبوب والدقيق	٨٧٧٠٥ «
السكر والبن والشاي	٤٨٨٦٦ «
الخمور والزيوت	٢٢٩٠٨ «
الخشب والفحم	١٣٧٧١١ «
المنسوجات على انواعها	٣٠٤٣٦٠ «
المعادن والمصنوعات المعدنية	١٢١٦٩٥ «
الطرابيش والبرانيط الخ	٠٣٢٤٣٥ «

ولا بدَّ من ان يزيد النقص في ثمن ما يرد من الدقيق والحبوب والخمور والمنسوجات والسكر والبن والشاي ونحو ذلك مما يمكن الاستغناء عنهُ لانهُ من غلات القطر او لانهُ من الكماليات لا من الحاجيات

الشاي والبحث العلمي

كان الصينيون والهنود يزرعون نبات الشاي ويعملون ورقهُ حتى يجود طعمهُ غير بانين عملهم على اساس علمي . واقتفى الاوربيون خطواتهم وجروا مجراهم في زرع الشاي في الهند وسيلان وتعليمهم من غير بحث علمي فقام اليابانيون الآن يبحثون في ذلك بحثاً علمياً مدققاً فوجد عالم منهم ان تعريض الشاي الاخضر لبخار الماء السخن يقتل منهُ الخمائر المؤكسدة ولكن اذا طال تعريضهُ للبخار ماتت منهُ خمائر اخرى تتوقف عليها نكهتهُ وجودة طعمهِ وان فتل الاوراق يسهل استخراج عصارتها حينما تغلى لا سيما وانهُ يخرج العصارة من غدد السطح الداخلي الذي ينضغط بالفتل

هدية روزفلت

اهدى المستر روزفلت رئيس اميركا الاسبق الى متحف التاريخ الطبيعي الاميركي ٣٥ من الطيور و٤٥٠ من ذوات الاربع وهي كلها مما اصطادهُ من اميركا الجنوبية

الحرب والعلم

كان من اول نتائج الحرب الاوربية ان اجلت الجمعيات العلمية اجتماعاتها السنوية التي تعقد عادةً في الصيف والخريف او الشتاء وحوّل بعض المدارس الكبيرة الى

مستشفيات لجرحى الجيش وعدل كثيرون من الفلكيين عن رصد كسوف الشمس الكلي في اماكنه ومما يذكر في هذا الصدد ان الشمس كسفت في دسمبر سنة ١٨٧٠ وقت الحرب بين فرنسا وبروسيا وكان المسيو جانسن الفلكي في باريس فطار منها ببلون وذهب الى بلاد الجزائر ليرصد الكسوف فيها

الحرب والصناعة والزراعة

وكان من نتائج هذه الحرب ايضاً ان المواد الكيماوية التي تصنع في المانيا وتستعمل في الصناعة والزراعة منع اصدارها من المانيا فعلت ايدي الصناع ومنها اصباغ الانيلين والفحم الذي يستعمل في المصابيح الكهربائية التوسيتية والصودا المستعملة في طبخ الصابون وعمل الزجاج وغير ذلك من المواد الكيماوية . وكذلك املاح الصودا والبوتاسا المستعملة سماداً في الزراعة فان اكثرها يرد من المانيا . وبعض المعادن المستعملة في الصناعة كالقصدير والانتيمون . ولقد ارتفعت اسعار هذه المواد كلها الآن ولا يبعد ان يحمل ذلك اهالي البلاد الانكليزية والاميركية على السعي في عمل هذه المواد للاستغناء عن المانيا

الحامض البروسيك في النبات

لا يخفى ان الحامض البروسيك او الهيدروسيانيك يوجد في بعض النباتات فتبتعد المواشي عنها ولا تأكلها لئلا تسمم به . ومن هذا القبيل نبات الذرة عند اول ظهوره وقد عرف الآن ان هذا الحامض يتكون في النباتات من فعل المركبات النيتروجينية بوساطة مثل الثانيلين والحامض الشتريك كما يتولد من تخمير الكربون

كرم ابي قردان

ابو قردان طائر معروف في هذا القطر ومن مزاياه ان كلاً من ذكره وانثاه يأتي بالطعام الى فراخه من السمك ونحوه ويضعه في حوصلته ويفتح منقاره فتدخل صغاره مناقيرها فيه وتلتقط الطعام منه . وقد وجد بعضهم بالمراقبة ان طيوراً اخرى من نوع ابي قردان غير الاب والام تأتي بالطعام الى الفراخ وتطعمها اياه كرماً منها وهذا من اغرب ما روي عن الطير

النظارات التي تصنع

اكبر النظارات العاكسة التي تصنع الآن نظارة لمرصد جبل ولسن باميركا قطر مرآتها ١٠٠ بوصة ونظارة لمرصد الدومنيون بكندا وقطر مرآتها ٧٢ بوصة ونظارة لمرصد سيدني في بلاد القرم وقطر مرآتها ٤٠ بوصة ونظارة لمرصد حلوان بمصر وقطر مرآتها ٣ بوصة ومثلها نظارة لمرصد المستر دستر بانكلترا

اختراع ثمين

اخترع شاب اميركي اسمهُ ايستمن طريقة يكتب بها المصور اسمهُ في اسفل الصورة التي يصورها بالكوداك حال تصويرها فاشترت منهُ شركة ايستمان هذا الاختراع بثلثمئة الف ريال . وكم من رجل يقضي عمرهُ يبحث ويحقق في المسائل العلمية ويكتشف ويخترع ما ينتفع به الانوف ثم يموت جوعاً

برج اعلى من برج ايفل

كانت حكومة البنجيك شارعة في اقامة برج ليكون محطة للتلغراف اللاسلكي ومرصداً للاحداث الجوية وعزمت ان تجعل ارتفاعهُ ١٠٩٣ قدماً فيكون اعلى من برج ايفل لان ارتفاع هذا ٩٨٤ قدماً

الميكروب والمطر

من الاقوال الشائعة في بلاد الشام ان من يشرب من ماء المطر الاول يصاب بالسعال او بالشهقة او بنحو ذلك من الامراض . ولا نعلم ان احداً بحث عن صحة ذلك بحثاً استقرائياً او بحث في الامراض التي يقال انها تحدث من شرب ماء المطر الاول بحثاً علمياً ولكن القول المتقدم شائع في طول البلاد وعرضها . والذين يجمعون مياه المطر في الصهاريج لا يجمعون ما يقع اولاً منهُ . وقد ثبت الآن ان لهذا الاعتقاد اساساً علمياً وهو ان نقط المطر تجمع حول الميكروبات التي تكون في الهواء ولا يبعد ان يكون بينها كثير من ميكروبات الامراض فتى اغتسل الهواء منها صار ماء المطر صالحاً للشرب

الموت الى حين

كتب الدكتور بكرل المشهور الى جريدة الماتن يقول انهُ عرّض القمح والخردل وبعض الميكروبات لاقصى درجات الجفاف والبرد ثم استنبت القمح والخردل فنبتا واعاد الميكروبات الى بيئة صالحة لمعيشتها فعادت الى الحياة ثانية . وعندهُ ان الحبوب والميكروبات زال منها كل اثر للحياة مدة تعريضها للجفاف والصقيع لانهُ وضعها في انابيب افرغ منها كل ما قدر على افراغهِ من الهواء ثم انزل حرارتها الى الدرجة ١٩٠ تحت الصفر بمقياس سنتكراد مدة ثلاثة اسابيع ثم الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر مدة سبع وسبعين ساعة وبقي الحبوب في هذه الانابيب سنة وبقي بزور الميكروبات سنتين ومع ذلك كلهِ عاشت لما وضعت في بيئة صالحة لمعيشتها

نفقات قتل رجل في الحرب

قال الاستاذ دافد جوردان الاميركي في خطبة لهُ ان نفقات قتل رجل واحد في حروب هذا العصر تبلغ ٣٠٠٠ جنيه وقد بلغت في حرب البوير في جنوب افريقية ٨٠٠٠ جنيه

تجميد الزيوت

الفرق بين الزيوت والشحم الجامد هو ان الهدروجين في الشحم أكثر منهُ في الزيوت. وقد اكتشف احدهم طريقة يزيد بها مقدار الهدروجين في الزيوت والادهان المائعة وذلك بان يجعل بعض المعادن كالبلاتين والبلاديوم والنكل تمتص الهدروجين ثم تفتتهُ في الزيوت ليتركب معها واذا جمد زيت السمك على هذه الطريقة صار بقوام شحم البقر وفقد ما في رائحتهِ وطعمهِ من الكراهة . اما زيت الزيتون وزيت الفول السوداني فيشتد قوامهما ويفقدان رائحتهما وطعمهما . ويصبح زيت الخروع صلباً قصماً يمكن سحقهُ كما يسحق السكر ويتوقع ان يكون لهذا الاكتشاف شأن كبير في الصناعة خصوصاً اذا تمكن بواسطتهِ من تحويل البترول الى زيت يمكن عمل الصابون منهُ

البلاتين في المانيا

نحو ٩٥ في المئة من البلاتين المستعمل الآن يأتي من جبال اورال في روسيا ولكن قد اكتشف البلاتين في فندون بوستفاليا من المانيا حيث يتوقع ان يستخرج منهُ شيء كثير

تصفيح البوارج

اخترع مهندس الماني يقال لهُ شومان دروعاً لتصفيح البوارج وآلات الحرب يقول انها تفوق الدروع القديمة بالخفة وقلة النفقة والمناعة . وطريقتهُ في ان يجعل الدرع من طبقتين غير متلاصقتين بل تتصل احداها بالاخرى في نقط قليلة وتكون الطبقة الخارجية من النكل والطبقة الداخلية من معدن لين . فاذا اصابت قنبلة هذا الدرع التوت طبقتهُ الخارجية الى ان تلامس الطبقة الداخلية فتدعمها هذه . وقد جرّب درع من هذا النوع سمك طبقتهِ الخارجية سنتيمتران وسمك طبقتهِ الداخلية ٣ سنتيمترات فلم تعمل فيهِ القنابل التي تخترق درع الفولاذ الذي سمكهُ ٣ سنتيمترات ونصف

تطهير الماء بالنور

مما اعتني بتطهير الماء في برك السباحة يظل فيهِ شيء كثير من المكروبات التي يكتسبها من الذين يسبحون فيهِ . وقد جرّب تطهير الماء في بركة من برك السباحة في مدينة نيويورك باشعة النور التي تقع فوق البنفسجي في الطيف الشمسي فقل المكروب فيهِ الى جزء من عشرين مما كان قبل التطهير اما طريقة العمل فهي ان يمر الماء في مصفاة ليتصفى ثم يمر بالفوق بنفسجية منهُ هذه الاشعة

مرصد فلكي جديد

عزمت حكومة كندا في اميركا الشمالية على اقامة مرصد تجهزهُ بجميع الآلات اللازمة فاختارت لهُ موقعاً في مقاطعة كولومبيا

البريطانية واوصت بصنع تلسكوب قطر مرآته العاكسة ٧٢ بوصة وعليه فسيكون اكبر تلسكوب استعمل للرصد حتى الآن ما عدا تلسكوب معرض باريس

رصاص الراديوم

تنتهي حياة الراديوم بتحوله الى رصاص ولكن بعض العلماء يرون ان ثقل جواهر الرصاص الذي يتولد من الراديوم يختلف عن ثقل جواهر الرصاص العادي . وقد القى الدكتور فاجانس الالماني خطبة قال فيها ان الفرق في الثقل بين جوهر الراديوم المتولد من الرصاص وجوهر الراديوم المتولد من الثوريوم نحو ثلاثة اعشار في المئة وفي ٧ مايو بيّن العالمان سودي وهيامس في جمعية لندن الكيماوية ان الفرق في الثقل بين جوهر الرصاص المتولد من الثوريوم وجوهر الرصاص العادي نحو خمسة اعشار في المئة

المهاجرة الى الارجنتين

احصى الدكتور البرت هايل عدد المهاجرين الذين دخلوا جمهورية الارجنتين في جنوب اميركا بين سنة ١٨٥٧ وسنة ١٩١٢ فكانوا ٤٢٤٨٣٥٥ منهم ٢١٣٣٥٨ ايطاليون و٢٩٨١٣٢ اسبان و٢٠٦٩١٢ فرنسويون و١٣٦٦٥٩ روس و١٠٩٢٣٤ سوريون و٨٠٧٣٦ نمساويون و٥٥٠٦٨ المان و٥١٦٦٠ انكليز وس ٢٠٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠ من كل من السويسريين والبلجيكيين والبرتغاليين و٧٠٠٠ من كل من الدنماركيين والهولنديين و٥٥٠٠ من اهل اميركا الشمالية و١٧٠٠ من الاسوجيين و٧٩٢٥ من امم مختلفة وعدد المهاجرين من الروس والسوريين آخذ في الازدياد بالنسبة الى المهاجرين من الامم الاخرى

قدم المدنية في بابل

القى الدكتور بانكس خطبة في جمعية علم الانسان في مدينة وشنطون باميركا قال فيها انهُ عثر في اثناء اشرافه على البحث عن آثار بابل على شقف خزف يحتمل ان يستدل منها على انهُ قام في بابل امة ذات مدنية راقية منذ ١٥٠٠٠ سنة الى قبل الميلاد بنحو ٣٠٠٠ سنة ومما قالهُ ايضاً انهُ عثر على امكان لاحراق الموتى ويجب ان يكون من عهد السومريين لان عادة الساميين ان يدفنوا موتاهم دفناً

الفحم الحجري في اميركا

بلغ ما استخرج من الفحم الحجري من ارض الولايات المتحدة الاميركية في خلال سنة ١٩١٣ نحو ٥٧٠٠٠٠٠٠ طن قدر ثمنها بنحو ١٥٢٠٩٧٠٠٠ جنيه وبلغ عدد الذين اشتغلوا باستخراج الفحم تلك السنة

٧٤٧ ٦٤٤ رجلاً اي نحو ثلاثة ارباع المليون من الناس

المواليد في فرنسا

بلغ عدد الاطفال الذين ولدوا احياء في فرنسا السنة الماضية ٧٤٥ ٥٣٩ وكان ٧٥٠ ٦٥١ سنة ١٩١٢ . وكان معدل المواليد في فرنسا ٩٤٥ ٠٠٠ بين سنة ١٨٧٢ وسنة ١٨٧٥ فهبط سنة ١٩٠٧ الى اقل من ٨٠٠ ٠٠٠ ثم هبط سنة ١٩١١ الى ما تحت ٧٥٠ ٠٠٠ ومعدل المواليد لكل عشرة آلاف من السكان سنة ١٩١٣ كان ١٨٨ وكان ١٩٠ سنة ١٩١٢ و ١٨٧ سنة ١٩١١ و ١٩٦ سنة ١٩١٠ و ٢٠٥ سنة ١٩٠٦ فالنقص اذن مطرد . والمواليد آخذة بالنقصان في البلدان الاوربية عموماً ولكن فرنسا قد فاتتها جميعاً في هذا السبيل . وكانت زيادة المواليد على الوفيات سنة ١٩١٢ لكل عشرة آلاف من السكان في فرنسا ١٥ مقابل ١٥٨ في هولندة و ١٤٠ في ايطاليا و ١٣٠ في المجر و ١٢٧ في المانيا و ١٠٧ في النمسا و ١٠٠ في بلاد الانكليز . واكثر النقص في المواليد في المقاطعات الشمالية . اما عدد الزيجات فبلغ ٢٩٨ ٧٦٠ اي انهُ نقص ١٣ ١٦٩ عمّا كان سنة ١٩١٣ وبلغ عدد حوادث الطلاق ١٥ ٠٧٦ اي زاد نحو ٥٠٠ عمّا كان سنة ١٩١٢

سكك الحديد في الدنيا

بلغ طول سكك الحديد في قارات الارض المختلفة سنة ١٩١٢ ما تراهُ في هذا الجدول

في اميركا	٣٤٣ ٦٤٣	ميلاً
« اوربا	٢١٢ ٦٥١	«
« اسيا	٠٦٦ ٥٣٤	«
« افريقيا	٠٢٦ ٤٩١	«
« استراليا	٠٢١ ٦٧٨	«

التلفون في الدنيا

بلغ طول خطوط التلفون في العام الماضي نحو ٣٣ مليون ميل كما ترى في هذا الجدول

في الولايات المتحدة	٢٠ ٢٨٥ ٠٠٠	ميل
في اوربا	١٠ ٣١١ ٠٠٠	«
في كندا	٠٠٠ ٨٥٠	«
في سائر المسكونة	٠٠٠ ٤٧٦	«
والجملة	٣٢ ٩٢٢ ٠٠٠	

اما عدد التلفونات فبلغ نحو ١٣٧٠٠٠٠٠ كما ترى في هذا الجدول

في الولايات المتحدة	٨ ٩٧٥ ٠٠٠
« اوربا	٣ ٦٣١ ٠٠٠
« كندا	٠٤٠٠٠٠
« سائر المسكونة	٠٦٨٦ ٠٠٠
	١٣ ٦٩٢ ٠٠٠

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والاربعين


لارولا
BEETHAMS
la-rola
لاروله
M. Beetham & Sons. Cheltenham,
England.

حنينة تضحك! حنينة تبكي!

هذه تجتنب جميع اوجاع الاسنان باستعمال الدنتول لنظافة الفم

هذه لا تعتني باسنانها او تستعمل دواء للاسنان غير معروف ولذلك فهي تتألم كثيراً من اسنانها

ان تركيب الدنتول Dentol هو بالتطبيق لمبادئ باستور وبذلك فهو يقتل جميع مكروبات الفم والفلوة ويمنع تسوس الاسنان ويشفيه كما انه يمنع ويشفي التهاب اللثة والحلق. وهو يجعل الاسنان بيضاء لامعة ويزيل الطرطير المتركب عليها. ويترك في الفم شعوراً لطيفاً وعبيه المطهر يبقى في الفم ٢٤ ساعة. واذا وضع قليل منه على قطعة من القطن سكن وجع الاسنان مهما كان شديداً

الدنتول Dentol يوجد في جميع الاجزخانات ومحلات العطارة

والمستودع العمومي محل فرير بباريس بشارع جاكوب نمرة ١٩

Maison Frere, 19 Rue Jacob, Paris.

هو افضل جميع المركبات المستعملة لتغذية الاطفال ويشير به جميع اطباء العالم فهو حاوي لكل المواد المغذية سهل الهضم يقوي الجهاز العصبي والعظام وهو بالحقيقة احسن غذاء للاطفال

يباع في جميع الاجزاخانات ومخازن الادوية والبقالة في جميع انحاء القطر المصري

ترسل العينة والكراس مجاناً لكل من يطلبهما من وكالة شركة نسله بالاسكندرية صندوق البريد نمرة ١١٨٣

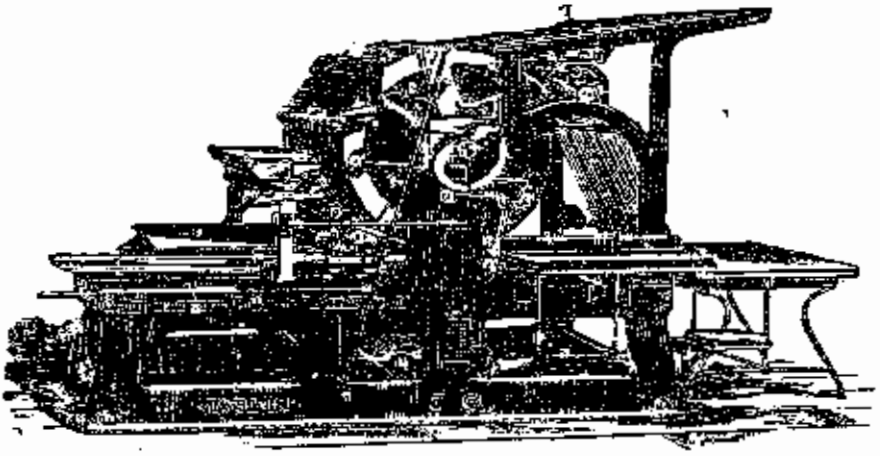

مطبعة المقتطف والمقطم

بشارع القاصد قرب محطة حلوان

على تمام الاستعداد للقيام بطبع
الكتب والمجلات والنشرات
والمذكرات والمؤلفات
العربية والافرنجية
بالسرعة والنظافة
والاتقان

الاسعار بغاية الاعتدال